# أحسن القصص

أو

## سيرة جلالة الملك

## عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود

## ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

خالد بن محمد الفرج

عني بطبعه ومراجعته

خادم العلم

عبد الله بن ابراهيم الأنصاري

طبع على نفقة الشئون الدينية

بدولة قطر

٩٢
أ

صاحب الجلالة

المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود

صاحب الجلالة

المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود

صاحب الجلالة

الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود المعظم

صاحب السمو الملكي ـ ولي العهد

الأمير فهد بن عبد العزيز آل سعود المعظم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه.

أما بعد يا صاحب الجلالة:

إن من المأثور عن جلالتكم هذه الكلمة الحكيمة:

«أحب سماع الشعر ولكن نوعين منه لا أحبهما: الهجو والغلو في المديح» وهذه منظومة تحتوي على سيرة جلالتكم نظمتها للحقيقة والتاريخ فلا مبالغة فيها ولا تحامل على أحد.

وليست سوى صدى لأعمال توجتم بها هام العروبة بأكاليل الفخار، وصفحات بيضاء خالدة أضفتموها إلى تاريخ العرب المجيد أنتم أعلم بدقائقها وجلائلها، نظمتها للأمة العربية التي رفعت رأسها بكم وبأعمالكم المجيدة الخالدة.

أطال الله بقاءكم حتى تتم للأمة العربية أمانيها على يدكم

خالد بن محمد الفرج

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة منظومة أحسن القصص

الحمد لله رب العالمين يمز من يشاء من عباده وهو ولي المؤمنين أوجب حقاً عليه نصر من تمسك بالإيمان وأدى واجبات الله والصلاة والسلام على أفضل خلقه من أعزه الله تعالى ونصره بالرعب من مسيرة شهر صلى الله على آله وأصحابه إلى يوم الدين.. وبعد:

فلما كان من التحف المفيدة والذكريات الصالحة أخبار أهل العزم والبسالة والشجاعة بذلك تزهو المجالس وتطيب المحافل وتزكو النفوس وتعلو الهمم ولقد تصفحت بعض المآثر الصالحة والوقائع الدالة على الشجاعة والبسالة للملك الراحل عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ودرست شيئاً من أخباره في عنوان المجد وفي كتب أخرى بالإضافة إلى ما تلقيته من بعض كبار الرجال في المملكة العربية السعودية ولكنني عندما اطلعت على المنظومة المعنونة بأحسن القصص (والتي هي للشاعر خالد الفرج)، ومن طبعي أني أشتاق إلى الأخبار المنظومة أكثر من المنثورة فدرستها وهي مشطرة مسبوعة أعني ثلاثة أبيات وعجز من البيت يفصل كل قصة نثراً مختصراً بواقع الحال مما سبق نظمه فأيدت إعادة طبع هذه المنظومة احياء لذكريات الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود تغمده الله بواسع رحمته ورضوانه وجمعنا وإياه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في فسيح جناته إنه سميع مجيب.

ولقد لمست فيه بعض ما يستدرك عليه ولكن أمانة العلم تركني أن أسكت عن ذلك لأنني لم ألتزم بالتدقيق فيه ولا التحقيق لعباراته وألفاظه وهي على ما هي عليه نافعة وجيدة رحم الله ناظمها ومن قام بطبعه ونشره.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه.

خادم العلم

عبدالله إبراهيم الانصاري

الربيع الثاني ١٤٠٢ الموافق

الدوحة - قطر

# نظرة من الكتاب

أطلعني صديقي الشاعر الكبير واضع هذا السفر النفيس، على كتابه، منذ إزماعه طبعه. ورغب إليّ أن أفصح عن رأيي فيه فكتبت إليه:

ماذا يقول القائل في كتاب اجتمع فيه الأدب الصحيح والشعر البليغ والتاريخ المحقق. إن «أحسن القصص» لديوان من عيون الدواوين في سيرة من أفضل السِّيَر، ولا أدري أيُهنأ الأستاذ الناظم المؤلف الشيخ خالد الفرج بما وُفق إليه من الإبداع في كتابه أم يهنأ صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود بأن تولى صياغة تاريخه الخالد قلم الأستاذ خالد، أم يهنأ أدب العرب بالدرّة الجديدة يحلي بها عقده النظيم.

ألا إن المؤلف، وصاحب الجلالة، وأدب العرب- جميعاً- لمهنّأون بالكتاب بارك الله بمؤلفه النابغة وجزاه عن العرب والعربية خيراً.

**محمد علي الطاهر**

صاحب جريدة الشورى

القاهرة

# سفـر الخلـود

هُوَ ذَا الدَّهْرِ أَكْبَرُ الأَسفـارِ  فِيـهِ أَسمى العِظاتِ والإِعتبارِ
ما اللَّيالِي فِيـهِ سوى اسطارِ  فِي طُرُوسٍ من نسج ضوءِ النهارِ
مُلِأَت مِن تَقـادُم الأَعصـارِ  صفحـاتٍ مُلِئنَ بِالأَخبـار
لِذَوِي الإِتّعاظِ والأَبْصارِ

»●«

هُوَ هـذا فَافْتَحهُ سِفرَ الخُلُودِ  حافِـلٌ بِالقـدِيمِ بَلْـهَ الجَدِيـدِ
فِيـهِ ذِكرى « فِرعون » و« النّمرُودِ  وَجَدِيسٍ وَطَسْمَ بَعـدَ ثَمُودِ
ثُمَّ روما وَفـارِسٍ والهُنُودِ  وَرِجـالِ الأَلْيـاذِ والتَّلْمُودِ
وَعَجِيبِ الإِقْبَالِ والإِدبارِ

»●«

»●«

لَيْسَ عُمرُ الفَتى وَإن طالَ عُمرا  سَوفَ يَلقى الفَنا وَإن عاشَ دَهْرا
إنَّمَا العُمرُ أن يُخلِّفَ ذِكرا  سائراً في الوَرى عَلاءً وَفَخرا
فَاجتَهِدْ أن تَنالَ ما هُوَ أحرىٰ  ثم سَطِّرْ بِالجِدِّ باسْمِكَ سَطْرا
في سِجِلِّ الخُلُودِ والأعْمارِ

»●«

فَلِـذَا - رُبَّ فـارِسٍ مِغْوَارِ  خاض نَار الوَغى ومُحْبِ الغُبارِ
مُنْتَهِينـاً مَرَاكِبَ الأخْطَارِ،  وَخَطِيـبٍ في مَحْفِـلٍ زَخَّارِ،
وعلـيم بِمُغْلَـقِ الأسْرَارِ،  ومُكِبٍّ في الدرسِ والتَّكْرَارِ
لم يَجِدُوا إلا لِنَيْلِ الفَخَارِ

»●«

إِنَّمَـا الدَّهْرُ كَالمَرَايَا لِنَـاسِ  بَـانَ فِيهـا خَيَالُهُمْ بِانْعِكَـاسِ
وَتَلاشَى لِفقْدِهِم عن قِيَـــاسِ  وَكَلَوْحِ الْمُصَوِّرِ الحَسَّاسِ
لِمُشِيـــــدِي بِنَائِهِم بِأَسَاسِ  رَسْمُهُمْ فِيـه ثَابِتُ الأَنْقَاسِ
مَاثِلاً بِالوُضُوحِ لِلأَنْظَارِ

»●«

فَاحرِصِ الحِرْصَ كُلَّهُ أَن تَنَالا  عُمرَ ذِكْرٍ يُقَـاوِمُ الأَجْيَـالا
لا تُسَمِّ الصِّعَابَ- عَجْزاً- مُحَالا  رُبَّ جِـدٍّ قَـدْ حَقَّقَ الآمـالا
وَضَعِيـفٍ قَدْ أَخْضَعَ الأَبْطَالا  خُذْ مِثَـالاً إِذَا أَرَدْتَ مِثَـالا
سِيْرَةً مِنْ عَظَائِمِ الآثَارِ

»●«

# الشاب الناهض

هُوَ هـــذا فَـــتىً وَسِيمٌ أَغَرُّ  عـاشَ مَا بَيْنَ أَهْلِهِ وَهُوَ حُرُّ
وَلَـــدُوه إِذِ المَرَابِعُ خُضْـــرُ  ثُمَّ أَضْحَى أَبُوهُ والكَفُّ صِفْرُ
نَائِيـــاً عَنْ بِلاَدِهِ وَهِيَ وَكْرُ  هُوَ عَيْشٌ لَـدَى الأَبِيِّينَ مُرُّ

كَيْفَ يَقْضي حَيَاتَه بِمَرَارِ؟

»●«

هُوَ (عَبْـدُ العزيزِ آلُ سُعودِ)[1]  كامنٌ سِرُّهُ بِعَيْنِ الوُجُودِ
وَمُحَبَّـــأٌ لِيَوْمِـــهِ المَوْعُودِ  مِثْـلَ سَيْـفٍ في غِمْدِهِ مَغْمُودِ
أَوْ كَنَـارِ الزِّنَادِ في الجُلْمُودِ  أو كَعَرْفِ الشَّذَا بِرَنْـدِ العُودِ

واللآلي في غامِضِ المَحَّارِ

»●«

(١) هو جلالة الملك المعظم عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان، ينتهي نسبه إلى بكر بن وائل من ربيعة. وقد اشتهرت عائلتهم الكريمة بآل سعود وآل مقرن، حماة الدين والقائمين بإصلاحه. وأول من تولى الإمامة منهم الإمام «محمد بن سعود» لقيامه بنصرة المصلح الكبير الشيخ «محمد بن عبد الوهاب» رحمة الله عليه.

ولد جلالة الملك عبد العزيز في ٢٩ ذي الحجة سنة ١٢٩٧

وتولى إمامة نجد بفتحه الرياض في ٤ شوال سنة ١٣١٩

وصار ملكاً على الحجاز في جمادى الثانية سنة ١٣٤٤

وفي شهر رجب سنة ١٣٤٥ نودي به ملكاً على الحجاز ونجد وملحقاتها.

(٢) المحار جمع محارة: أصداف اللؤلؤ.

»●«

لَـذَّةُ العِزِّ ذَاقَهـا وَهُوَ طِفْـلٌ  وَرَأَى وَهْوَ يافِعٌ كَيْفَ يَجْلُو[1]
أَهْلُـهُ عَنْ دِيارِهِم وَهِيَ تَخْلُو  ثُمَّ أَضْحَـى وَعِزُّهُ مَضْمَحِـلُّ
يَتَسَلَّـى وَمِثْلُـه كَيْـفَ يَسْلُو  هُوَ مَـاضٍ وَحْـدَهُ لا يُفَـلّ
غَارِقٌ مِنْ هُمُومِه فِي بِحَارِ

»●«

كانَ وَسْطَ الكُوَيْتِ قَيْدَ العُيُونِ[2]  ذا مَكَـانٍ وَسْطَ القُلُوبِ مَكِينِ
يَتَمَشَّى مِن بَيْنِهم بِسُكُونِ  بَيْـدَ أَنَّ الآمَـالَ ذَاتُ كُمُونِ
زَادَهـــا قُوَّةُ صَبِيٍّ العِشْرِينِ  فَلَدَيْـهِ القُصُورُ مِثْـلَ السُّجُونِ
حِينَمَا يَرْتَمِي إِلَى الأَفْكَارِ[3]

»●«

(١) في سنة ١٣٠٨ تغلب محمد بن عبدالله الرشيد على أهل القصيم في وقعة المليدة وتم له الاستيلاء على نجد كلها بما في ذلك الرياض، فقد كان الإمام عبد الرحمن الفيصل خارجاً بجيوشه من الرياض لنجدة أهل القصيم فلما بلغه خبر انتصار ابن الرشيد كر راجعاً فأخرج عائلته من الرياض وأم الاحساء.

(٢) بعد أن وصل الإمام عبد الرحمن إلى الإحساء قابله مندوب من قبل واليها عاكف باشا يعرض عليه أن يعود إلى الرياض ويتولاها من قبل الدولة العثمانية وكان الوالي يقصد من ذلك اعتراف آل سعود بخضوعهم الفعلي للدولة، ولعلم الإمام أن الأتراك عاجزون عن مساعدته مساعدة فعلية ولعلمه بنياتهم نحوه رفض ما اشترطوه عليه بإباء. وتوجه إلى الكويت وعاد منها إلى قطر. ودعاه الوالي ثانياً إلى الإحساء واتفق معه على أن تدفع له الدولة معاشاً شهرياً وأن يقيم وعائلته في الكويت.

(٣) سمعت من سمو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين السابق أن الملك عبد العزيز لما مر بالبحرين بمعية والده أثناء ذهابه إلى الكويت وعمره إذ ذاك لا يتجاوز الحادية عشرة سأله الشيخ عيسى: أقطر أحسن أم البحرين؟ فأجابه على الفور: الرياض أحسن منهما! قال الشيخ عيسى: فدهشت لهذا الجواب السريع وعلمت أن وراء الأكمة ما وراءها.

## المخاطرة الأولى

# فتـح الريـاض

»●«

أُنْظُرِ الزَّنْـدَ في يَـدِ القُدَّاحِ  تُشْعِلِ النَّارَ فِي مَهَبِّ الرِّيَـاحِ
ظَفَرَ « ابنُ الرَّشيد »[1] بابنِ الصَّبَّـاحِ[2]  وَبِعَبْدِ العَزِيزِ كَبْـحُ الجِمَاحِ
إنَّ عَبْدَ العزيزِ خَيْرُ سِلاحٍ  أيُّ بُنَيَّ[3] إنْتَقِم وَدَاوِ جِراحي
مِنْ عدوٍ طَغَى ، وَهُدْ بالثَارِ

(١) هو عبد العزيز بن متعب بن عبدالله الرشيد، تولى إمارة حائل وشمر بما في ذلك نجد، بعد وفاة عمه سنة ١٣١٥ وقتل سنة ١٣٢٤.

(٢) هو الشيخ مبارك بن صباح بن جابر آل صباح، تولى إمارة الكويت بعد قتله لأخويه محمد وجراح سنة ١٣١٣ وهو من دهاة أمراء العرب المشهورين. وكان الإمام عبد الرحمن الفيصل لايزال مقيماً فيها وكاد يصفو لمبارك في الحكم لولا أنه رمي بداهية دهياء وهو يوسف بن عبدالله آل إبراهيم خال أبناء المقتولين وكان ذا ثروة ضخمة جعلته يطمح إلى حكم الكويت لما يعلمه من مكانته في نفوس الكويتيين بله الاستيلاء الذي خامرهم من فعلة مبارك، فاتخذ المطالبة حجة له وقاوم مباركاً بكل ما أوتي من قوة فألب عليه الحكومة العثمانية وكاد ينجح لولا تدخل حكومة الانكليز، وسعى عند محمد الرشيد بمساعدة الشيخ قاسم بن ثاني أمير قطر فلم يفلح، واغتنم يوسف فرصة تولي عبد العزيز المتعب فأغراه فوجد أذناً صاغية، ولم يبق لمبارك صديق فرأى نفسه بحاجة إلى محالفة الإمام عبد الرحمن الذي وإن كان اعزل من القوى المادية إذ ذاك إلا أن لديه قوة أدبية كبرى وهي عطف أهل نجد عليه وعلى آل سعود نظراً لما قاسوه من حكم آل رشيد وخصوصاً في زمن عبد العزيز بن متعب فتحالفا على أن يكونا يداً واحدة على ابن رشيد، فتجهز مبارك بجيش يبلغ عشرة آلاف مقاتل لمحاربة ابن رشيد، فالتقى الجمعان في موضع يسمى «الصريف» بالقرب من قرية الطرفية التي تبعد عن بريدة ١٥ ميلاً في ذي القعدة سنة ١٣١٨ وكانت الدائرة على جيوش مبارك وقد نكل ابن الرشيد بأهالي نجد الذين أظهروا الميل إلى آل سعود تنكيلاً فظيعاً وتتبع فلول المنهزمين فقتلهم صبراً بشراسة نفرت القلوب من حكمه لأمر يريده الله.

(٣) كان الشيخ مبارك لا يخاطب عبد العزيز إلا بابنه «ولدي».

»●«

قُمْ وَشَمِّرْ وَانْهَضْ لِفَتْحِ الرِّيَاضِ[1] دارِ أَجْدَادِكَ السيوفِ المَوَاضِي

آن من ضدنا اللدود التقاضي. - هِيَ حُبْلَى قَدْ آذَنَتْ بِمَخَاضِ

بِحُرُوبٍ سُودٍ طِوَالٍ عِرَاضِ - رَفْرَفَ الصَّقْرُ مُزْمِعاً بِانْقِضَاض

وَهَوى كَالشِّهَابِ ذِي الأَنْوَارِ

»●«

دَعْوَةٌ وَافَقَتْ هَوَى ذَا اتِّقَادِ طَالَمَا كَانَ كَامِناً فِي الفُؤَادِ

طَعَنَ ابنُ الصَّبَّاحِ فِيهاالمَعَادِي

لِيَقُدَّ الفُولاَدَ بِالفُولاَدِ

فيقيمه تَزَاحُمُ الأَضْدَادِ خُطَّةٌ ذَاتُ حِكْمَةٍ وَسَدَادِ

تُرْبِكُ الضِّدَّ مِن وَرَاءِ السِّتَارِ[2]

(١) الرياض من بلاد العارض (اليمامة) عاصمة آل سعود بعد خراب الدرعية التي تبعد عنها مسافة ثلاث ساعات، دخلت في حوزتهم بعد أن هرب منها دهام بن دواس سنة ١١٨٧ وبعد ظهور الإمام تركي جعلها عاصمة لملكه الذي استرجعه وبقيت عاصمته إلى اليوم.

(٢) لم يأل يوسف آل إبراهيم جهداً في حمل محمد الرشيد على محاربة مبارك الصباح ولكنه لم يوفق لاقناعه، ويحكى أنه قال لابن أخيه وولي عهده عبد العزيز المتعب وهو على فراش موته «لا تعاد ابن صباح فانه يحاربك وهو على مسنده» ولكن ابن متعب تولى الملك بصلف وغرور حتى أنه كتب إلى بلدان نجد يخبرهم بتربعه على تخت الحكم وأنه «ليس لديه إلا الحافر وصنع الكافر» أي الخيل والأسلحة النارية، فسهل على يوسف إقناعه وكان ما كان.

»●«

مَا تَوَانَى فَتَى العُلَى بَلْ أَجَابَا  لاَ يُبَالِي خَطباً أَتَى أَمْ صَوَابَا
قَامَ لِلْمَوْتِ يَسْتَحِثُّ الرِّكَابَا  مُوقِناً أَنَّهُ يُلاَقِي الصِّعَابَا
بِمَضَاءٍ يُحَيِّرُ الأَلْبَابَا  مَنْ تَوَانَى عَنْ المَآرِبِ خَابَا
وَيَفُوزُ الجَسُورُ بالأَوْطَارِ

»●«

فَتَمَشَّى بِأَرْبَعِينِ ذَلُولا[1]  لاَ تَرَى فِيهِم كَهَاماً ذَلِيلا
يَضْرِبُ البِيدَ عَرْضَهَا والطُّولا  فَدَعَا بَدوهَا قَبِيلاً قَبِيلا
وَسِبيعاً وَمُرَّةً والسَهولا  فَأَتَوْا نَحوَهُ رَعِيلاً رَعِيلا
وَأَتَى «حرض» بالجُيوشِ الكِثَارِ

»●«

(١) لما خرج مبارك الصباح بجيوشه الجرارة إلى الصريف سنة ١٣١٨ كان الإمام عبد العزيز معه وسنه إذ ذاك لا يتجاوز العشرين، وقد طلب من مبارك قوة يسير بها نحو الرياض ليفتحها، فسير معه من موضع يقال له «الشوكة» مقدار ألف رجل فاحتلها. ولكن حامية ابن الرشيد اعتصمت بقصرها الحصين، فحاصرها فيه وكاد يستولي عليه لولا أن وافته أخبار هزيمة مبارك في «الصريف» فتركها ولوى عنانه راجعاً. وفي سنة ١٣١٩ أعاد الطلب غير يائس معتمداً على ربه وإيمانه الصادق بالفوز، وقد كانت حالة مبارك لا تساعده على المجازفة بالكثير وقد ذاق تلك التجربة القاسية فكانت الحملة مؤلفة من أربعين بعيراً ليس فيها سوى آل سعود ومواليهم المخلصين لهم، وقد زودهم مبارك بمائتي ريال وثلاثين بندقية وبعض الزاد. خرجت الحملة وعلى رأسها عبد العزيز، فأم البادية يستنفر قبائلها فأتاه شراذم من العجمان وانضم إليه بنو مرة وسبيع والسهول وغيرهم، فأتى «حرض» وقد اجتمع لديه ما يقارب الألف والخمسمائة، فشن الغارة على قبائل من مطير وقحطان والدواسر وغيرها، فأصاب مغنماً. وظل يغزو القبائل التابعة لابن رشيد ويعود إلى الإحساء يتموّن منها.

(١) هو الشيخ قاسم بن محمد بن ثاني أمير قطر ورئيس عشيرة المعاضيد. تولى أبوه إمارة قطر من قبل آل خليفة أمراء البحرين، وكانت قطر من ملحقات إمارتهم وكانوا حكامها قبل استيلائهم على البحرين، وناب الشيخ قاسم في الإمارة عن أبيه لكبر سنه وكانت نفسه تنزع إلى الاستقلال ورفع نير آل خليفة عن قطر، وبعد حروب طويلة تم له ما أراد، ولكنه لم يكد يتخلص من آل خليفة حتى اصطدم بالأتراك بعد استيلائهم على الإحساء سنة ١٢٨٨ ومازال يحاربهم تارة ويسالمهم أخرى إلى أن ضعف شأنهم واكتفوا منه بنقطة صغيرة في قطر، هي في الواقع كواو عمرو، إلى أن توفي سنة ١٣٣١ بعد أن أربى على المائة. وقد خلف كثيراً من الأولاد. وكان مشهوراً بالكرم والتمسك بالديانة وإيراده من تجارة اللؤلؤ التي هي حياة سكان ضفاف الخليج.

(٢) بيرين واحة كبيرة جنوبي الاحساء تبعد عنها ١٥٠ ميلاً وكانت ذات عمران واسع وشهرة كبيرة تدل عليها بقية آثارها الكثيرة ونخيلها الكثيفة الملتفة، وكثر ورودها في أشعار العرب المتقدمين. وهي الآن من مساكن بني مرة، وتكثر بها حمى الملاريا لوفرة مياهها ومستنقعاتها. وبعضهم يغلط فيسميها جبرين والصحيح أنها بالياء.

»●«

حَالةٌ لَوْ أصابَتِ الصَّلْدَ ذَابَا  فَالأَعَادِي قَد سَدَّتِ الأَبْوَابَا[1]
وَغَـدَتْ تِلْكُمُ الأَمَانِي سَرَابَـا  غَيْرَ أَنَّ الحَمَـاسَ زَادَ الْتِهَابَا
رُبَّ يَأْسٍ إِلَى النَّجَاةِ أَهَابَا  عَقَـدُوا العَزْمَ لِلرِّيَاضِ ذَهَابَا
لَمْ يُبَالُوا لِلْفَوْزِ أَمْ لِلْبَوَارِ

»●«

كَانَ فِيهَا لِلْمُعْتَدِي حِصْنَانِ  قَـامَ أَعْلاَهُمَـا وَرَاءَ ثَانِي
فِيـهِ تِسْعُونَ مِن رِجَالِ الطِّعَانِ  حَرَسٌ مَعَ أَمِيرِهِمْ «عجلان»
بَيْنَهَا سُورُهَـا العَظِـيمُ الشَانِ  تَرَكُوهُ مُهَـدَّمَ البُنْيَـانِ
مُتَدَاعِي البُرُوجِ بَعْدَ الجِدَارِ[2]

»●«

(١) لقد لبى الأتراك طلب ابن الرشيد فسدوا أبواب الإحساء في وجه خصمه وصعب عليه تموين جيوشه حتّى تفرقت عنه خوفاً من أعدائه المتألبة وهذا شأن البدو في كل زمان ومكان، ولم يبق معه سوى الستين الذين خرجوا معه من الكويت على أربعين بعيراً. فضاقت به الأرض بما رحبت وبرغم أن والده والشيخ مباركاً ألحا عليه في الرجوع فقد صمم على المضي سبيله والمجازفة، فإما الصدر أو القبر!

(٢) لما استولى ابن الرشيد على الرياض قطع كثيراً من نخيلها تشفياً وانتقاماً وهدم أسوارها كلها خشية أن تعصيه ثانية وتناوئه، واكتفى بالحصن الذي تسكنه الحامية. وقد وقف هذا الحصن في وجه الملك عبد العزيز في هجومه الأول، ولولاه لتم له الاستيلاء على الرياض ولتمكن من بناء سورها أثناء انشغال خصمه بمحاربة مبارك الصباح قبل الصريف، ولكن الأمور مرهونة لأوقاتها، فصار هذا بمثابة درس ثمين له فقد جعل الملك هذه المرة نصب عينيه مهاجمة الحصن وقت فتحه نهاراً وعلى غرة، وبعبارة أخرى وجه الضربة إلى القلب ليتم له القضاء على الجسم القضاء المبرم واستعان على أموره بالكتمان فتم له ما أراد.

وعجلان هذا من مولدي أهل حائل، وهو رئيس حامية الرياض وأميرها من قبل آل الرشيد.

»●«

لَيْلَةَ السَّطْوِ مِن عِظَامِ اللَّيَالِي  لِثَـــــلاَثٍ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالِ
جَـاءَ فِيهـا الكَمِيُّ بِالأَبْطَـالِ  لَفَعَـــالٍ مِنْ أَعْظَمِ الأَفْعَـــالِ
كَيْفَ يَسْطُو عَلَيْهِ والسُّورُ عَالِ؟  فَتَصَـدَّى لِبَـابِ بَعْضِ المَوَالِي
طَالِباً مَا لَدَيْهِ مِنْ أَبْقَارِ[1]

»●«

فُتِحَ البَابُ، بَعْدَ قَالٍ وَقِيلِ  عَرَفُوهُ بِالصَّوْتِ بَعْـــدَ قَلِيـلِ
عَمَّنَا! عَمَّنَا! وَهُمْ فِي ذُهُولِ[2]  فَتَرَامَوْا عَلَيْـــــهِ بِالتَّقْبِيـــلِ
فَتَخَطَّـــــى لِلْمَنْزِلِ المَأْمُولِ  زَوْجُ «عَجْلاَنَ» فِيهِ ذَاتُ نُزُول
عَلَّهُ عِنْدَهَا بِذَاكَ النهار

»●«

(١) صمم عبد العزيز على المضي في سبيله فترك بيرين ووجهته الرياض. وفي ليلة ٤ شوال سنة ١٣١٩ أناخوا على بعد ساعتين منها فاختار من جنده أربعين رجلاً وفيهم أخوه «محمد» وابن عمه «عبدالله بن جلوي» وترك عشرين رجلاً في رحالهم. وعندما وصل إلى أطراف البلد أبقى أخاه محمداً ومعه ثلاثون رجلاً، وتقدم بالعشرة الباقين للقيام بمهمته، وكان يؤمل أن يجد عجلان في بيت زوجته خارج الحصن الداخلي وهو واقع في طرف القصر الخارجي ويحاذيه بيت لبعض فلاحي أهل الرياض، فطرقه عبد العزيز بحجة أنه من رجال الأمير عجلان يبتغي شراء بقر للمضيف، وبعد قال وقيل فتحوا الباب، فعرفوه، وتراموا عليه يقبلونه فأمرهم بالسكوت وأقفل عليهم الحجرة وتخطى منه إلى البيت المجاور فوجد فيه شخصين نائمين فلفهما بالفراش وأودعهما حجرة أخرى، وأرسل في طلب أخيه محمد ومن معه، فجاؤا يتسللون ولم يشعر بهم أحد، ثم تسلقوا إلى بيت زوج عجلان وهي من أهل الرياض واحدى موالي آل سعود، ولكنه تلك الليلة لم يكن هناك، فوجدوها مع أختها وليس في البيت أحد سواهما، أيقظهما فاستوتا جالستين برباطة جأش، فكلمها قائلاً لا بأس عليكما إذا سكتما! ولم تكد زوجة عجلان تتميز وجهه على ضوء السراج حتى عرفته وخاطبته قائلة:

(إلى الصفحة ٢٣)

(٢) عمنا عمنا: أي سيدنا سيدنا.

»●«

لَيْسَ مُلْكاً مَا كَانَ بِالتَّرْهِيبِ  إِنَّمَا المُلْكُ مُلْكُ وُدِّ القُلُوبِ
هُو هـذا في حَالَةِ المَغْلُوبِ  يَتَلَقَّونَـهُ لِقَـاءَ الحَبِيـبِ
زَوْجُ عَجْلاَنَ فِي المَقَامِ الرَّهِيبِ  قَابَلَتْهُ بِأَجْمَـلِ التَّرْحِيبِ
ثُمَّ بَاحَتْ لَدَيْهِ بِالأَسْرَارِ

»●«

كان عِنْدِي عَجْلانُ لَيْلَةَ أَمْسِ  وَهُوَ الآن دَاخِل القَصْرِ يُمْسِي
آه عَبْدَ العزيزِ تَفْدِيكَ نَفْسِي  أَنَا أَخْشَى، فَإِنَّهُ رَبُّ بَأْسِ
فَدَعَاهَا إِلَى السُّكُوتِ بِهَمْسِ  وَغَدا وَهُوَ فِي رَجَاءٍ وَيَأْسِ
يَشْرَبُ البُنَّ فَوْقَ ضَوْءِ النَّارِ

»●«

أنت عبد العزيز!! أنت عبد العزيز!!

فأجابها نعم. وسألها عن عجلان. فقالت إنه الليلة هذه في الحصن ولا يخرج إلا بعد طلوع الشمس. والله يا عبد العزيز أنت أحب إليّ من كل شمري حتى زوجي ولكني أخاف عليك من بأسهم. فدعاها إلى الطمأنينة وأمرها بلزوم الصمت، وأدخل النساء كلهن في حجرة واحدة وأوصدها عليهن، واجتمع مع رجاله كلهم في بيت عجلان، وكان الليل قد انتصف فناموا قليلاً بعد أن أكلوا شيئاً من التمر وشربوا عليه القهوة... يا لها من حالة تدل على ما يخالج ضمير هذا البطل من الإطمئنان بالفوز والوثوق بالمستقبل. وما لاحت تباشير الصباح إلا وهم متأهبون، وقد وقفوا وراء الباب وقوف الأسود لفرائسها ينتظرون الفرصة، تلك الساعة الرهيبة، ليهاجموا الحصن عند فتحه وكان بابه مقابلاً لباب البيت الذي هم فيه تفصلها فسحة فيها مرابط لخيل الأثير وكان من عادته إذا خرج من الحصن صباحاً أن يتجول فيها ويتفرج على الخيل المربوطة هناك ثم يؤم بيته ليشرب فيه قهوة الصباح عند أهله.

»●«

بَدَتِ الشَّمْسُ مِنْ وَرَاءِ الهِضَابِ فَتَبَدَّى «عَجْلاَنُ» وَسْطَ الرِّحَابِ
فَعَدَتْ نَحْوَهُ لُيُوثُ الغَابِ فَتَوَلَّى بِحَيْرَةٍ وَاضْطِرَابِ
ثُمَّ أَصْمَاهُ لَيْثُنَا بِالبَابِ مَاسِكاً رِجْلَهُ مَعَ الأَثْوَابِ
وَرَصَاصُ الحُرَّاسِ كَالأَمْطَارِ[1]

»●«

أَفْلَتَتْ رِجْلُهُ مِنِ الكَفِّ سِرّا إِذْ رَأَى المَوْتَ مُكْفَهِرّا
كَادَ يَنْجُو لكن «أبا فهدٍ» كَرّا[2] فَسَقَاهُ كَأْساً مِنَ المَوْتِ مُرّا
صَار شَفْعاً بها وَقَدْ كَانَ وِتْرا ثُمَّ نَالوا مِنَ البَقِيَّةِ وَتْرا
وَشِفَاءُ النُّفُوسِ أَخْذُ الثَّار

»●«

(١) ذر قرن الشمس يوم ٤ شوال سنة ١٣١٩ ففتحت خوخة باب الحصن (وهي باب صغير لا يكاد المرء يمر منه يكون في نفس الباب الكبير الذي هو في الغالب موصد) وخرج عجلان على عادته يتجول في الفسحة ثم أمّ بيته وهم وراء الباب يرقبونه ولا يدري بما خبأ له القدر من مصير، فما شعر إلا وعبد العزيز قد خرج من البيت يعدو نحوه والسيف مسلول بيمينه ووراءه خمسة عشر رجلاً من بينهم أخوه محمد وابن عمه عبدالله بن جلوي، فانقلب راجعاً وهو يعدو، وكاد يدخل الخوخة لولا أن عبد العزيز عاجله فأمسك برجله وقد دخل نصفه ورماه عبدالله بحربة فأخطأته وارتكزت بالباب فانكسرت، ولاتزال باقية في مكانها إلى اليوم، وكأن حبه للحياة ولد فيه قوة خارقة مكنته من اجتذاب نفسه فأفلت وقد صعد رجاله إلى أعلى الباب وأخذوا يطلقون النار على الهاجمين من الكوى (المصاليت) فقتلوا اثنين وجرحوا أربعة، ولكن عبدالله اقتحم الباب وراء عجلان فأرداه بطلق ناري وجلله بعد ذلك بالسيف: فقضى. وصاح عبد العزيز بالباقين فاقتحموا الباب وأخذوا يقتلون الحامية ولم يبق منها سوى عشرين تحصنوا ببرج من أبراج القصر ونزلوا بعد أن أمنهم على حياتهم.

(٢) أبو فهد كنية عبدالله بن جلوي بن الإمام تركي، وهو أمير الاحساء الآن.

»●«

ثُمَّ نَـادَى بِحُكْمِ آلِ السُّعُودِ وَأَتَـــاهُ الأَهْلُونَ بِالتَّأْبِيـــدِ
فِي نَهَارٍ عَلَى الجَمِيعِ سَعِيد إِذْ نَجُوا مِنْ وُلاَةِ الرَّشِيـــدِ
بَيْنَ وَالٍ عَـاتٍ وَبَيْنَ عَبِيـدِ وَدَعَاهُمْ مِنْ بَعْـدِ أَخْذِ العُهُودِ
لِبِنَاءِ البُرُوجِ وَالأَسْوَارِ[١]

»●«

يَفْقِـدُ المُلْكَ كُلُّ مَنْ لاَ يَسُوسُ وَإِذَا لَمْ تَهْوَ المَلِيـكَ النُّفُوسُ
لاَ تَقِيـــه شَجَاعَـــةٌ وَخَمِيسُ هَكَـذَا ابنُ الرَّشِيدِ فَهْو عَبُوسُ
فَاتِـــكٌ ظَالِمٌ غَشُومٌ شَمُوسُ فَارِسٌ إِن تَشِبَّ حَرْبٌ ضَرُوسُ
لَمْ يَكُنْ ذَا تَبَصُّرٍ وَافْتِكَارِ[٢]

»●«

(١) بعد أن احتل عبد العزيز القصر وقتل الحامية نادى مناديه في البلد (الحكم لله ثم لعبد العزيز بن عبد الرحمن) فاستولت على الناس عاطفتا الدهشة لهذه المفاجأة والفرح، فأقبلوا نحو القصر زرافات ووحداناً يسلمون عليه ويهنئونه ويبايعونه على السمع والطاعة ويحمدون الله على خلاصهم من ارهاب ولاة آل الرشيد وعسفهم فقد كانوا ينظرون إلى الرياض وأهلها نظرات الحقد والبغضاء والاحتقار فأمرهم لفوره ببناء السور وترميم المتهدم منه، فنفروا لذلك، وأتموه في بضعة أسابيع ومن يطلع على دائرته يعلم مقدار ما بذلوه من الهمة والتعب في إعادة بنائه.

(٢) كان «عبد العزيز المتعب الرشيد» فارساً شجاعاً وبطلاً مغواراً إلى حد الهوج وبلغت به شجاعته درجة من القساوة والسطوة أفقدته المرونة السياسية التي هي من شروط الأمراء الأساسية وأعلى درجة من الشجاعة الهوجاء، فكان مثال الجبروت والكبرياء والصلف. وتروى عنه حكايات تعد من باب الخرافات لغرابتها، يضاف إلى ذلك منه سوء التدبير وعدم الأخذ بالحزم والرأي والتبصر على حد قول الشاعر:

أعطيت ملكاً فلم تحسن سياسته  وكل من لا يسوس الملك يخلعه

# مطاولات ومناوشات

## ١٣١٩ - ١٣٢٢هـ

كَاتَبَ التُّرْكَ مُسْتَعِيناً فَطالا ... أَمْرُهُمْ حِينَ سَوَّفُوهُ مِطَالا

وَهُوَ يَبْغِي مِن الكويتِ احْتِلاَلا ... جَاهِلاً أَنَّهُ يُرِيد المُحالا

أَيْنَ لِلتُّرْكِ أَنْ يُجِيبُوا السُّؤالا؟ ... خَشِيَ ابنُ الصَّبَاحِ مِنهم فَوَالَى

دَوْلَةَ الانكليزِ بِالاضْطِرَارِ

»●«

أَهْمَلَ الأَمْرَ، وَهُوَ كان يَسِيرا ... لَوْ تَلاَفاه، ثُمَّ أَضْحَى عَسِيرا

عِنْدَها ابنُ السُّعُودِ أَضْحَى مُغِيرا ... وَغَدا فِي جَنوبِ نَجْدٍ أَمِيرا

فَرَأَى ابنُ الرَّشِيدِ أَمْراً خَطِيراً ... وَإِلَى حَائِلَ أَغَذَّ المَسِيرا

لِيُوافِي بِالجَحْفَلِ الجَرَّارِ

»●«

استولى عبد العزيز على الرياض، وابن الرشيد مقيم على الحفر يكاتب الترك وهم يماطلونه ويطاولونه وقد علق آماله كلها على احتلال الكويت ومتى تم له ذلك تمكن من القضاء على حركات ابن سعود، ولو بالحصر الاقتصادي، ولكنه برغم حضارته فهو عريق في الأفكار البدوية ولا يعلم عن الحالة السياسية شيئاً ما، وربما أنه لم يحسب حساباً لانضواء مبارك تحت علم الحماية وقد يكون غير عارف بمعنى تلك الحماية وما هو التزاحم السياسي بين الترك والانكليز وعند أي حد تقف قوتها وتزاحمها، وولاة الترك لا يملون مواعدته بالحسنى ومماطلته رغبة في تواصل هداياه وللتظاهر أمامه بأنهم أصحاب الحول والطول في هذه المسألة إيهاماً وتمويهاً لئلا تجرح الكبرياء الخاقانية. فظل يعلق الآمال على وعودهم، ولا يهمه سقوط الرياض، حتى قال لما بلغه الخبر: «أرنبة مجحرة وأهلها مقيمون!» واكتفى ببعض سرايا يرسلها وتعود إليه خائبة، حتى مكن للفاتح من الاستعداد فأتم بناء الأسوار وشن الغارات على قبائل ابن رشيد وبعض البلاد حتى تم له الاستيلاء على «الخرج» و «الحريق» و «الحوطة» و «الافلاج» و «وادي الدواسر» من بلدان نجد الجنوبية، وكاتبته البلدان الشمالية بالطاعة سراً، فرأى ابن الرشيد ما لم يكن في حسبانه بعد أن يئس من وعود الأتراك، فلوى عنانه راجعاً إلى حائل ليجند الجيوش ويتجهز، وقد آلى على نفسه أن لا يدخل حائلاً إلا بعد أن يقضي على حركة ابن سعود، وهكذا كان فقد قتل ولم يدخلها...

»●«

وأتى زَاحِفاً رُوَيْداً رويدا  جَاعِلاً قَطْعَهُ المَؤُونَةَ قَيْدا،
أجْنَبَ «ابنُ السَّعُودِ» يَنْصِبُ كَيْدا  بَاعِثاً للعَدُوِّ عَمْراً وَزَيْداً
فأشَاعُوا عَنْهُ فِرَاراً وَحَيْدا  فَأَتَى هَاجِماً، فَصَادُوه صَيْدا
وَلَدَى «الخَرْجِ» بَاءَ بالانْكِسَارِ

»●«

وانْقَضَى العَامُ كُلُّهُ فِي هُجُومٍ  وَدِفَاعٍ وَمُقْعِدٍ وَمُقِيمِ
وأَتَتْهُ البِلادُ بِالتَّسْلِيمِ  بَعْدَ حَرْبٍ تَشِيبُ رَأْسَ الفَطِيمِ
وانْتَهَى الأَمْرُ بِاحْتِلالِ «القَصِيمِ»  مِحْوَرُ الدَائِرَاتِ بَيْنَ الخُصُومِ
فِيهِ رُجْحَانُ كِفَّةِ المِعْيَارِ

»●«

في أثناء مسير ابن الرشيد إلى حائل انتقل الإمام عبد الرحمن من الكويت إلى الرياض بعد غيبة احدى عشرة سنة. وعاد ابن الرشيد إلى (الحفر) ليقطع الميرة عن الرياض بعد أن عجز عن محاصرتها في مناورات أجراها وفشل فيها، وقد تفلتت منه القبائل التي كان يظنها موالية له، ولم يجد ابن السعود بداً من الالتحام معه ومناجزته فتوجه إلى (الخرج) وأشاع أنه هرب إلى الجنوب خوفاً من خصمه، فانطلت الحيلة على ابن الرشيد فاقبل مسرعاً حتى نزل على «بنيان» وهو موضع يبعد عن الرياض عشرين ميلاً فقط. وهناك علم أن ابن سعود في حائر سبيع (بالخرج) فاضطر أن يهاجم «الدلم» وجرت بينهما عدة وقائع انهزم فيها ابن الرشيد وتقهقر راجعاً إلى الحفر، وأغار على قبائل الكويت وصمم على محاصرتها فاستنجد مبارك بعبد العزيز فوافاه بعشرة آلاف- وقد كان خرج منها بأربعين- وغزا مع جابر بن مبارك على رأس جيش عرمرم، فبلغهم أن ابن الرشيد رجع إلى حائل فأغاروا على مطير في «جولبن» ولكن ابن الرشيد قد خدعهم فهاجم الرياض وفيها الإمام عبد الرحمن، فخرجوا لمحاربته وكسروه، وعلى أثر ذلك عاد عبد العزيز من الكويت مستصحباً معه العائلة، وجرت عدة وقائع سلمت فيها «شقرا» وغيرها من بلاد نجد. وفي النهاية استولى على «عنيزة» و «بريدة» وبلاد «القصيم» كلها وتم له الاستيلاء على نجد قاطبة بعد أن كسر جيوش ابن الرشيد وسراياه.

# البكيرية

## ١٣٢٢هـ

أَصْبَحَ التُّرْكُ في اضْطِرَابٍ شَدِيدِ  لاخْتِمَاءِ «المبارك» المَعْهُودِ
وَخُضُوعِ القَصِيمِ لابْنِ السُّعُودِ  وَهُو فِيما يَرَوْن ضِمْنَ الحُدُودِ
فَأَجَابُوا مَطالِبَ ابْنِ الرَّشِيدِ  وَأَمَدُّوهُ بِالعَطَا وَالجُنُودِ
جَهَّزُوهُ بِالنَّارِ وَالدِّينَارِ

»●«

فِي «البكيرية» التَقَى الجَمْعَانِ  وَتَلاَقَى الأَتْرَاكُ بِالعُرْبَانِ
وَغَطَا الجَوَّ قَسْطَلُ الفُرْسَانِ  مِن غُبارٍ في ظُلْمَةٍ في دُخَانِ
وَشَّحَتْهُ «الأَطوابُ» بِالنِّيرَانِ  هُوَ يَوْمٌ وَمَا لَه مِنْ ثَانِ
غَيْرَ يَوْمِ الأَعْرَابِ فِي ذِي قَارِ

البكيرية قرية من قرى القصيم بين بريدة والرس جرت فيها الوقعة الحاسمة التي غيرت مجرى التاريخ في جزيرة العرب وأتت بنتيجتين في وقت واحد فقد قضت على نفوذ الأتراك وهيبتهم في نجد قضاء مبرماً وزعزعت ملك ابن الرشيد فلم تقم له قائمة بعدها. لم تكن الدولة العثمانية تحسب لابن السعود حساباً قبل استيلائه على القصيم الذي تعده من جملة الممالك الشاهانية بل كانت تود إيجاد خصم في نجد لصديقها ابن رشيد ليبقى على الدوام محتاجاً إليها وكانت ترجح عدم الاصطدام بصاحب الكويت خوفاً على سفينتها من الصخرة البريطانية الجاثمة هناك أما وقد ضرب ابن السعود على الوتر الحساس وتم له ملك القصيم فلم يكن لها بد من إماطة اللثام ومقابلته وجهاً لوجه فأمدت خصمه بأحد عشر طابوراً من العساكر الشاهانية وأربعة عشر مدفعاً وما لا يحصى من الذخيرة والمؤنة والنقود فأضاف إلى تلك القوة كل ما استطاع أن يجمعه من قبائل شمر وغيرها وأتى بتلك الجيوش الجرارة إلى نزل البكيرية وفي غرة ربيع الثاني سنة ١٣٢٢ التقى بعبد العزيز ومعه جموع أهل العارض والقصيم ومن انضم إليه من البادية وجرت الملحمة بين الجيشين: بين الترك ويمثلهم ابن الرشيد، والعرب ويمثلهم ابن سعود فأغارت قبائل هذا على معسكر هذا وتمت الهزيمة على الجانبين سواء بسواء.

»●«

لم تَحِنْ بَعْدُ سَاعَةُ الانْتِظَارِ  حَيْثُ بَاءَ الاثْنَانِ بِالانْكِسَارِ
وتَسَاوَى كِلاَهُمَـــــا بِالخَسَارِ  فَكَسَوْا أَرْضَهُمْ رِدَاءَ احْمِرَارِ
مِنْ نَجِيعٍ عَلَى ثَرَاهَا جَارِ  وَتَدَاعَى الجَمْعَانِ بَعْدَ الفِرَارِ
وَاسْتَقَرَّا كِلاَهُمَا فِي قَرَارِ

»●«

عَادَ عَبْدُ العَزِيزِ عَوْداً سَرِيعا  حَيْثُ نَادَاهُمُ الرُّجُوعَ الرُّجُوعا
فَتَوَافَوْا وَسْطَ القَصِيمِ جَمِيعا  بَيْنَمَا ابنُ الرَّشِيدِ سَاقَ الجُمُوعا
لِحِصَارِ (الخبراء) حَتَى تُطِيعَا  وَهِيَ أَضْحَتْ عَلَيْهِ حِصْناً مَنِيعا
لا تُبَالِي بِهَوْلِ ذَاكَ الحِصَارِ

عاد عبد العزيز بعد الإنسحاب إلى عنيزه وبريدة بعد أن استوثق من بقاء أهلها على الولاء وما عتم ان اجتمعت لديه عدة آلاف من بوادي عتيبة ومطير وغيرهم فهجم بتلك الجموع على ابن الرشيد في البكيرية ولكنه كان قد غادرها إلى الخبراء وخلف فيها معسكره ومؤنته فسمع بهجوم خصمه على البكيرية وفيها ذخائره وعتاده فشدد الحصار على الخبراء ولكنها ثبتت أمامه ثبات الأسود في غابها ولم تؤثر فيها مدافعه الضخمة التي كان يوالي إطلاقها عليها فضلاً عما ابتلي به أهالي الخبراء من الطاعون الذي تفشى فيهم وسرى إليهم من عساكر الأتراك.

»●«

جَـاءَ عَبْـدُ العَزِيزِ والعُرْبَـانُ  لِيُوافُوا أَعْدَاءَهُمْ حَيْـثُ كَانُوا
فَأَتَاهُمْ فِي جَمعِـهِ (سلطـانُ)  فَتَلَقَّـــاهُ عِنْدَهَـــا الفُرْسَانُ
أَوَّلَ الفَجْرِ فَاسْتَحَرَّ الطِّعَـانُ  فَتَوَلَّـــى بِجَيْشِهِ، والمكـانُ
تَمَّ إِخْضَاعُه بِذَاكَ النَّهَارِ

»●«

وَمَضَى ابنُ الرَّشِيدِ نَحْوَ « الشنانهْ »  جَامِعـاً فِي رُبُوعِهـا عُرْبَانَـهْ
مُفْرِغـاً كُـلَّ مَالِـهِ فِي الكِنَانَـه  وَعَلَى « الرس » حَيْثُ أَلْقَى جِرَانَه
سَئِمَ الكـــلُّ قومَـهُ ومكانَـه  إِذْ غَـدَا المَوْتُ يَنْتَقِي فِتْيَانَه
بِالمَوَاضِي وَبِالوَبَاءِ السَّارِي

»●«

سمع ابن الرشيد بهجوم خصمه على البكيرية وهي مركز معسكره وفيها عتاده. فأرسل سلطان بن حمود الرشيد ومعه سرية كبرى لصد الهجوم على البكيرية فالتحموا معه بمعركة هائلة أدت إلى انهزام سلطان هزيمة شنيعة وتقدم ابن السعود إلى البلدة فاحتلها من يومه وفتك بحامية ابن الرشيد التي فيها وهرب من سلم منهم وطاردت خيله خيل ابن الرشيد حتى أشرفت على الخبراء عندها تقهقر إلى الرس ونزل على الشنانة جنوباً منها وطوق الرس بالحصار وشدد الوطأة عليها ونصب المدافع وشرع يرميها. ومع أن أميرها قتل أثناء ذلك الحصار فانها لم تسلم واستبسل أهلوها في سبيل الدفاع عن أنفسهم لخوفهم من فظاعته. ومن ذلك ندرك سر سرعة استيلاء ابن السعود على البكيرية ووقوف الرس هذا الموقف. وطال أمد الحرب ثلاثة أشهر وهم في مناوشات ومطاردات حتى مل الناس تلك الحال فقد انتنت الأمكنة من جثث القتلى وانتشرت الأمراض الفاتكة بين المعسكرين والسيف أعظم فتكاً من تلك الأمراض الوبائية.

»●«

وَاذْكُر البَـدْوَ إنَّهُم كَالقَرَلَّى[1] إنْ رَأى الخَيْرَ مِن قَريـبٍ تَدَلَّى
أو رأى الشرَّ مِن بَعِيـدٍ تَعَلَّى هَكَـذا فَالكَـثِيرُ مِنْهُم تَخَلَّـى
عَنْ أَمِيرَيْـهِ حِينَ لِلْحَرْبِ مَلاَّ سَئِمُوا الْحَرْبَ والقِتَـالَ فَوَلَّى
جُلُّهُمْ يَتْبَعُ الكَلا فِي البَرَارِي

»●«

أَدْرَكَ السَّأْمَ مِنْهم ابنُ السُّعود وَهُو دارٍ بِعَزْمِ ذَاكَ العَنِيـدِ
فَسَعَـى لِلْوِفَـاق وابن الرشيد باعِثـاً نَحْوه (بِفَهدِ الرشودي)
وَهُو نَـدْبٌ وَرَبُّ رأيٍ سَدِيد فَأَجَـابَ الجَبَّـارُ بِالتَّهْدِيـد
مَنْ يُرِدْ نَجْدَ فَلْيَكُنْ ذَا اصْطِبَارِ[2]

»●«

(١) القرلى اسم طائر حذر يضرب به المثل فيقال: (كن حذراً كالقرلى، ان رأى خيراً تدلى، أو رأى شراً تعلى) وهذا المثل ينطبق على حالة البدو أتم الانطباق أو أنهم قد أخذوا بحكمته ودانوا بمبادئه من قديم الزمان فهم يوالون هذا ويعادون ذاك تبعاً للمطامع وبغية للكسب ولا يحجمون عن الانقلاب إذا آنسوا طمعاً من الجانب الآخر فهم يأتون إلى الحاكم متطوعين متظاهرين بالولاء له والعداء لخصمه وليس في استطاعته أن يردهم إذا حاولوا التخلي عنه لأنهم ليسوا من جنوده وتاريخ امراء جزيرة العرب مفعم بتلك التقلبات.

(٢) سرى التذمر في قبائل الخصمين لطول أمد الحرب وانتشار الأمراض خصوصاً وهم في فصل الربيع يريدون أن ترعى مواشيهم وتسمن استعداداً للقيظ وأحس ابن السعود بهذه الروح فأرسل فهداً الرشودي من أهالي بريده ليتوسط بالصلح والهدنة مع أنه يعلم بعناد ابن الرشيد وتصلبه وهكذا فقد قابله بالاستهزاء والسخرية والوعد والوعيد لأهالي نجد.

»●«

لا تُغْرُوا جَهْلاً بِذِي الأَعْلاَمِ أنا ما جِئْتُكُم بِجَيْشِ النِّظَامِ
أَبْتَغِي العَوْدَ عَنْكُمُ بِسَلاَمِ فاسْتَعِدُّوا مِنِّي لِمَوتٍ زُؤَامِ!
فَرَماهَا قَنَابِلاً مِن كَلاَمِ هِيَ فِي الوَقْعِ مِثْلُ حَدِّ الحُسَامِ
زَادَهَا فَهْدٌ بِالكَلاَمِ النَّارِي

»●«

قَامَ فَهْدٌ مِنْ بَيْنِهِم فَاسْتَفَزَّا مَا بِهِمْ مِنْ حَمِيَّةٍ ثُمَّ هَزَّا
بِكَلاَمٍ يَهِيجُ القَلْبَ وَخْزَا لَنْ تَنَالُوا بَعْدَ المَذَلَّةِ عِزَّا
هَاجِمُوهُ فَإِنَّ مَنْ عَزَّ بَزَّا فَأَصاخُوا فَلَسْتَ تَسْمَعُ رِكْزَا
ثُمَّ قَامُوا لِلْحَرْبِ مِثْلَ الضَّوَارِي

»●«

عاد فهد يحمل ذلك التهديد فقال يخاطب عبد العزيز وقومه ليس لكم عند ابن متعب غير السيف وما أراه إلا كفرعون بني اسرائيل سيقتل رجالكم ولا يترك إلا النساء أن تولى عليكم. وأثرت كلمات فهد في قلوب الحاضرين فقرروا مهاجمته مهما كلفهم ذلك.

أضاع ابن متعب الفرصة ولم يغتنم جنوح خصمه إلى المسالمة فيجنح لها ويملي شروطه بعز مع أن خصمه عرف كيف يستثمر صلفه وكبرياءه ليوقد الحمية في قلوب جنده ولم يكن التذمر والاستياء من طول أمد الحرب خاصاً بعسكر ابن سعود فقد قامت شمر تشكى نقص الأموال والرجال وهددت أميرها بالرحيل عنه إذا لم يرحل معها فاعتذر بتعذر نقل العساكر عليه وكانت جماله قد فقد منها ما ينوف على عشرة آلاف وأصبحت جنود الدولة العلية كلا عليه. وبعد الأخذ والرد اتفقوا على أن البدو من شمر يتحملون قسماً من أمتعة الجنود وعتادهم. فهم بالرحيل تاركاً عدوه وراءه. وهذه الحالة تدلنا على مبلغ عقلية ابن الرشيد وعدم تدبيره فانه رفض الصلح الشريف الذي عرض عليه ليرحل بدون طائل بل إنه رحل رحيل المنهزم المغلوب فرحيله أضعف من شأنه ورفضه للصلح وتهديده أوقد النار في قلوب أعدائه وشدد عزائمهم على مهاجمته والقضاء عليه.

»●«

هَاجَمُوه عـلى « الشـانة » فَجْرَا وَأَرَوْهُ الفِعَـــــال كَرًّا وَفَرّا
وَانْقَضَى اليَومُ والهُجُومَاتُ تَتْرَى ثُمَّ جَاءَ الدُّجَى فَأَسْبَلَ سِتْرَا
فَمَضَـى ابنُ الرَّشِيدِ يَبْغِي مَقَرًّا وَعَلَيْـهِ قَدْ أَصْبَحَ التُّرْكُ وِقْرَا
كَيْفَ يَحْمِي جُنُودَهُم وَيُبَارِى

»●«

نَاوَشُوهُ القِتَـالَ فِي الانْسِحَابِ وَ (بوادي الرُّمَهْ) على قَيْدِ قَابِ
قَـدْ دَنَا حِينَذَاكَ وَقْتُ الحِسَابِ حيث أَضْحتْ جُنودُهُ في اضْطِرا
لَمْ تُفِـدْهُ الأَتْرَاكُ بِالأَطْوَابِ إِذْ تَوَلَّوْا فَوْرًا عَلَى الأَعْقَابِ
ثُمَّ لاذَ ابنُ مُتْعِبٍ بالفِرَارِ

»●«

لما عزم ابن الرشيد على الرحيل ذلك اليوم لم يشعر إلا وقد هاجمه السعوديون قبيل الفجر وقصدهم من ذلك منعه من الرحيل والقضاء عليه فاشتدت الحرب بينهم إلى غروب الشمس وبرغم ذلك فقد انسحب ابن الرشيد من الشنانة وهم يناوشونه القتال ويطاردونه وكانت قبائله قد تقدمته في الرحيل فنصب خيامه ليوهمهم أنه مقيم فانخدعوا وعادوا عنه ليستريحوا فتأهب للرحيل وبلغ ابن سعود خبره فبادر بالهجوم عليه واصطدم بعسكر الأتراك فتجالد معهم أما ابن الرشيد فقد نزل «الجوعى» وهمَّ بمهاجمة قصر ابن عقيل وفيه حامية لابن سعود وكانت الأمداد قد أرسلت إليها وفيها بعض آل مقرن فسبقوه إلى القصر وشددوا عزائم الحامية فنصب ابن الرشيد مدافعه وشرع يضرب القصر ولما علم ابن سعود بذلك دعا قومه لمهاجمة ابن الرشيد وحمسهم حتى انه ترك ناقته ونعله ومشى معهم حافياً كأحدهم والمسافة بينهم لا تقل عن عشرين ميلاً فلم يصلوا إلا بعد منتصف الليل فتركهم يستريحون داخل القصر. وبعد أن أنفق ابن الرشيد كمية وافرة من القنابل على القصر بدون طائل عزم على الرحيل عنه فتركوه إلى أن حمل أطوابه وعتاده ومشى وجنوده مع العساكر النظامية ففاجأته الخيل بالإغارة وهجم السعوديون عليه من القصر فأدركوه في وادي الرمه (ينطقونه بفتح الميم وسكون الهاء) وهذا أطول واد في جزيرة العرب يخترق القصيم فيمر بين حاضرتيه عنيزة وبريدة. وقرى البكيرية والخبراء والشنانة. واقعات على ضفافه. في ذلك الوادي في ١٨ رجب سنة ١٣٢٢ وقعت الملحمة الفاصلة. فقد طارد السعوديون خصمهم إلى وادي الرمه هذا، وهناك نزل ابن الرشيد وبنى بيوت الحرب ليستبسل قومه عندها فثبتوا للسعوديين وكادوا يصدونهم لولا أن عبد العزيز صمد لهم بهجمته فهدم البيوت بيوت الحرب وفرت عساكر الترك من وجهه وعلى أثرها ابن الرشيد واشتغل المنتصرون بالغنائم عن تتبع الهاربين إلى أن خيم

»●«

ثُمَّ عَادُوا إلى الغَنَائِمِ حَالا غَنَماً يَنْهَبُونَهَـــا وَجِمَـــالا
وَعتاداً قَدْ أَثْقَلَ الأَحْمَالا وَصَنَادِيـــقَ ضَمَّـــتِ الأَمْوَالا
قَسَّمُوهـا عَلَـى السَّوَاءِ فَنَالا كُـلُّ فَرْدٍ غُنْماً كَبِيراً وَمَالا
وَاكْتَفَى ابنُ السُّعُودِ بالانْتِصارِ

»●«

الدجى وظلوا بعدها عشرة أيام وهم يجمعون الغنائم من الأسلحة والذخائر والأمتعة والثياب والنقود سوى الانعام الكثيرة وقد فرقها ابن سعود كلها على رجاله بالسوية ولم يأخذ لنفسه شيئاً البتة فأصاب الرجل الواحد منهم مائة وخمسون ليرة ذهباً وبضعة وعشرون بعيراً إلى ما لا يقدر من الأثاث وغيره من الأشياء الثمينة. وعادت في أرض القصيم (وقعة ذي قار) ثانية، والتاريخ يعيد نفسه فقد قضت هذه الوقعة على نفوذ الترك كما قضت تلك على نفوذ الفرس[1]. أما جنود الترك فقد تفرقوا شذر مذر ومات منهم كثيرون ونقل ابن السعود كثيراً منهم إلى الحجاز والكويت وبقي بعضهم في القصيم واشتهرت هذه الوقعة باسم البكيرية وان تكن وقائعها جرت في عدة مواضع.

(١) هذا كلام مخالف لروح الشريعة الإسلامية ومبدئها حيث أن الشريعة قامت على الإخاء والمودة والترابط «إنما المؤمنون أخوة» «المسلم أخو المسلم» «ليس منا من دعا إلى عصبية» والفرق بيّن واضح بين الفرس والأتراك لأن الفرس كانوا مجوساً يعبدون النار. أما الأتراك فهم مسلمون وقد أقاموا دولة الخلافة التي كانت ترهب الأعداء حتى ضعفت في آخر أيامها ورغم ذلك يبقى إسلامها ويبقى الولاء لها في ظل الخلافة، فلا يجوز الافتخار بجنس على جنس ولا بقومية على قومية أخرى.

# مقتل ابن الرشيد

١٣٢٤

رَوْضَـــةٌ يَنْسِبُونَهـــا لُهَنَّـــا  شَهِدَتْ هَوْلَ عِبْرَةٍ ذَاتِ مَعْنَى
تُرْعِـبُ المَعْشَرَيْنِ إِنْساً وَجِنّا  جَاءَهَـا أَرْبَعُون شَيْخاً مُسِنَّا
يَقْطَعُونَ الحَشِيشَ عُدْماً وَوَهْنَا  فَأَتَاهَا ابنُ متعب حَيْثُ أَفْنَى
تِلْكُمُ الأَبْرِيَا مِنَ الأَوْزَارِ

»●«

لَمْ يُرَاقِبْ حَجاجُ هذا الزَّمَانِ  مَـا أَتَـاهُ بِالبَغْيِ وَالعُدْوَانِ
فَـدَوَى فِعْلُـهُ بِكُـلِّ مَكَانٍ  بَيْنَهَا خَصْمُـهُ بِكُـلِّ زَمَـانِ
يَتَصَـدَّى لِلصَّفْحِ عَنْ كُلِّ جَانِي  وَبِهٰذَا قَدْ نَالَ أَقْصَى الأَمَانِي
وَانْتَهَى أَمْرُ ذَاكَ بِالإِدْبَارِ

# الحواشيـــش

بالقرب من مدينة بريدة روضة يكثر فيها الشعب ويرصعها الربيع بأزهاره تسمى (روضة مهنا) ولعله مهنا أبو الخيل. يأتيها فقراء أهل القصيم يحشون العشب ويبيعون حشيشهم في البلاد. وفي أحد أيام سنة ١٣٢٣ نزل عليها ابن الرشيد فوجد فيها أربعين رجلاً من العجزة ومعهم بضعة أطفال فأحب أن يتلهى بقتلهم انتقاماً من أهل القصيم لما في قلبه من الموجدة عليهم فقتلهم صبراً واحداً واحداً إلى أن وصل الدور إلى شيخ قد صبغه الهرم بصبغته البيضاء وحنى ظهره وقد أمسك بيد طفل يناهز العاشرة وقال: أيها الأمير اقتلني واستبق هذا الطفل فوراءنا عدة أيامىلا عائل لهن بعدنا. فكان جوابه أن قتل الطفل على مرأى من أبيه ثم ألحقه به. منظر هائل لا يصدر إلا من جبار لا تعرف الرحمة إلى قلبه سبيلا ولا يعد الحجاج عنده شيئاً مذكوراً هذه هي «ذبحة الحواشيش» التي رن صداها في جزيرة العرب وصارت بقعة سوداء في تاريخ ابن متعب على أنه قد ناله من تبكيت الضمير (إذا كان له ضمير) أمر هائل حتى صار لا يهتني بنوم فقد أخذ شبح ذلك الشيخ يأتيه في منامه ويحرمه الراحة والهناء فيفزع منه أشد الفزع إلى أن قتل في الموضع بعد مرور عام على فعلته الشنعاء.

»●«

ظَـلَّ عَامـاً وَاللهُ بِالمِرْصَـادِ إذأَتى السُّعُودبِالْجيْشِ «عادي»
فَدَرَى فَجْأَةً، بِلا اسْتِعْدَادِ أَنَّ في (روضة المهنا)المعَادي
فَسَرَى- يَبْتَغِيـه - بِالأَجْنَادِ فِي ظَـلاَمٍ تَنْهَـلُّ فيه العَوَادي
وَتَسِيلُ السُّيُولُ كَالأَمْطَارِ

»●«

خَالَطُوا بَعْـضَ جَيْشِهِ فَانْزَاحا وَاسْتَمَرُّوا حَتَى أَزَاحُوا الجَنَاحا
فَأَتَى الشمريُّ يُذْكِي الكِفَاحا: (مِنْ هُنَايا الفريخ) بالجَهْرِ صَاحا
عَرَفُوا صَوْتَـه فَمَـدُّوا السِّلاَحا نَحْوَهُ بِالرَّصَاصِ حَتى طَاحا
ذَاقَ كَأْساً سَقَى بِها بِمَرَارِ

»●«

(١) العادي في اصطلاح أهل نجد الهاجم.

انقضت سنة ١٣٢٣ بعد وقعة البكيرية والمناوشات مستمرة بين الخصمين هذا يغزو قبائل هذا، وكان ابن سعود قد آنس خيانة من صالح الحسن أمير بريدة وتذبذبا في أمور يطول شرحها وكان ابن رشيد يتنقل في أطراف القصيم ويجوس خلاله وفي شهر صفر سنة ١٣٢٤ بينما ابن سعود آت ومعه ألف وستمائة من قومه يطلب خصمه وقد بلغه أنه على «الثوير» في عقلة الزلفى فلم يدركه إذ كان قد رحل عنه فوالى السير بالسرى إلى أصيل ذلك اليوم فاضطر إلى النزول لشدة الأمطار والعواصف وهناك أتته عيونه فأخبرته أن ابن رشيد على روضة مهنا فبادر بالهجوم ليدركه قبل أن يرحل منها وكانت طلائع الشمري قد رأت طلائع ابن سعود ولم تنتصف ليلة ١٨ صفر إلا وقد تخالط الجيشان وهجم السعوديون على جناح شمر فزحزحوهم وصاروا في مواضعهم فرأى ابن متعب الراية في ظلام الليل فأقبل نحوها وهو يظنها رايته وكان حاملها يدعى «الفريخ» فأقبل نحوها وهو يصيح: من هنا يالفريخ من هنا يالفريخ؛ فعرفوا صوته وصوبوا إليه البنادق وهناك سقط عن ظهر جواده صريعاً يتخبط بدمائه ولسان حاله يقول:

إشرب بكأس كنت تسقي بها  أمر في الحلـــق من العلقم

وقد قطع رأسه وأرسل إلى القصيم وانتهت حياته المملوءة بالدماء وآخرها دمه.

# المصاعب والمتاعب

١٣٢٤ - ١٣٣٠

خـــبرٌ هَزَّ ذِكْرُهُ الأَرْجَـــاءَ وَبِعَبْدِ العَزِيزِ أَحْيَا الرَّجَاءَ
أَتُرَاهُ تَنَفَّسَ الصُّعَـــــدَاءَ؟ إِنْ يَكُ ابنُ الرَّشِيدِ بِالقَتْلِ بَاءَ
فَهُوَ أَيْضاً قَدْ وَلَّدَ الأَعْدَاءَ فَمُحِبُّوهُ نَاصِبُوهُ العَـــدَاءَ
مِنْ قَرِيبٍ وَمِنْ صَدِيقٍ جَارِ

»●«

قَلَبَ ابنُ الصَّبَاحِ ظَهْرَ المِجَنِّ وَتَمَـــادَى فِي دسِّه والتَّجَنِّي
يُظْهِرُ الودَّ تَـــارَةً والتَّدَنِّي وَيُجَافِي أَعْـــدَاءَهُ ثُمَّ يُدْنِي
سَالِكـاً فِي خِدَاعِـهِ كُلَّ فَنٍّ لَمْ تَزِدْهُ أَفْعَالُـــهُ غَيْرَ وَهْنِ
لانْفِضَاحِ الشِّبَاكِ وَالأَسْرَارِ

كان ابن الرشيد هو الخصم الألد لابن سعود وبقتله يخلو له الجو ويتم الاستيلاء على نجد من أقصاها إلى أقصاها وها قد قتل ذلك الخصم العنيد، أفتراه تنفس الصعداء؟ الجواب لا! لئن قضى عبد العزيز على خصمه فان مقتله ولدَّ له أعداء جدداً حسبوا لتفرده في نجد أكبر حساب وقد كانوا إلى ذلك الحد أكبر معوان له وهذا شأن السياسة في تقلباتها وتلونها فهي لا تفهم للعواطف معنى ولا تعرف إلا المصلحة المحسوسة.

وأول من يهمه توازن قوتي حائل والرياض هو الشيخ مبارك الصباح الذي أعان ابن سعود على خصمه أولاً ومد يد المصافحة إلى ابن رشيد بعد ذلك حتى تتعادل كفتا الميزان وحث صالح الحسن أمير بريدة على مؤازرة الله رشيد ضد ابن سعود، ولكن كاتب مبارك وكاتم سره غلط غلطة كبرى قضى على تلك الخطة التي أحكم نسجها ذلك الداهية الكبير فقد جعل كتاب هذا في ظرف هذا بينما هو يغري بينهما فاطلع الولد على نوايا أبيه الذي اعتذر بأعذار لم تخفف شيئاً وإن تظاهر ابن سعود بقبولها.

(٢)

وَبَدَا فِي القَصِيمِ (آلُ المهنّا)  قَد أَسَرُّوا لِآلِ مقرنٍ ضِغْنا
جَعَلُوا دَارَهُم بُرَيْدَةَ حِصْنا  طَالَمَا هُمْ خَانُوه مَعْنىً وَمَبْنَى
فَعَفَا عَنْهُم حَنَاناً وَمَنّا  ثُمَّ عَادُوا غَدْراً وَبِالعَفْوِ ثَنَّى
فَبَغَوْا، تِلْكَ خُلَّةُ الأَشْرَارِ[١]

(٣)

وَهُنَا جَاءَ (سامي الفاروقي)  لِيَضُمَّ القَصِيمَ تَحْتَ (فروق)
سَاعِياً فِي البِلادِ بِالتَّفْرِيقِ  فَفَقَدَا مِنْ أُمُورِهِ فِي ضِيقِ
وَرَأَى فِي الرُّجُوعِ خَيْرَ طَرِيقِ  حَمَلُوهُ وَجُنْدَه كَعَتِيقِ
وَهُوَ قَدْ جَاءَ حَامِياً لِلدِّيَارِ[٢]

(١) آل مهنا من عنزة وهم أمراء بريدة انتزعوا الإمارة من أصحابها آل عليان مؤسسي بريدة وأصحاب الحق الشرعي فيها وقد أدت المنازعات بينهم إلى أن قتل مهنا أبو الخيل في أيام عبدالله الفيصل وقد آنس أولاده من الإمام ميلاً إلى خصومهم لاعتقاده أنهم أصحاب الحق في إمارة بريدة فحقدوا عليه وبقي هذا الحقد كامناً فيهم لآل سعود حتى ظهر في شخص صالح الحسن ومحمد أبي الخيل فقد لعبا دوراً مهماً في حالة القصيم فكاتبا ابن الرشيد والأتراك وعاهدا ونقضا وتعددت منهما الخيانات والثورات في أمور يطول شرحها فقضوا على إمارتهم بأيديهم بعكس آل سليم أمراء عنيزة الذين أقاموا على الوفاء والإخلاص فهم لا يزالون أمراء في بلادهم حاكمين.

(٢) أرادت الدولة العلية أن تستر عظمتها بعد وقعة البكيرية بصلح شرف فأرسلت خمسة طوابير بقيادة فيضي باشا وبعده صدقي باشا وطلبت خضوع القصيم لها وجعله منطقة حياد بين الأميرين ولما لم يقبل أهل نجد بذلك بقيت الجنود مرابطة في الشيحية وعادت الحروب بين الأميرين إلى أن قتل ابن متعب واستبدلت الحكومة صدقي بسامي باشا الفاروقي الذي جاء متهدداً مرغياً مزبداً وبعد عدة مفاوضات ومناورات انتهت باخطار من عبد العزيز : قبل سامي بالرجوع إلى المدينة على أن يرحلهم عبد العزيز إليها وفعلاً رحلهم وأصحبهم بعبد الرحمن بن عبدالله آل سويلم أمير القطيف الآن وبعد ذلك جاءت الإرادة السنية بالشكر والألقاب.

(٤)

ثُمَّ شَبَّ الحريقُ[١] بِالنِّيرَانِ إِذْ وَرَتْ فيه فِتْنَةُ (الهزّانِي)
لِأُمُورٍ في نَفْسِهِ وَأَمَانِي وَتَــلاهُ آلُ السُّعُودِ الأَدَانِي
فَمَضُوا لائِــذِينَ (بالعجمانِ) بَعْــدَ عَفْوٍ أَنَالَهُمْ وَأَمَــانِ
هكَذا فَالحَلِيمُ بِالاقْتِدَارِ

(٤)

ثُمَّ جَاءَ الشَّرِيفُ[٢] يَقْصِدُ نَجْدا جَامِعاً حَوْلَهُ البَوادِيَ جُنْدا
مَالِئــاً كُتْبَهُ وَعِيداً وَوَعْدا فَلَقِي جُنْدَهُ هُنَالِكَ (سَعْدا)
أَسَرُوهُ غَدْراً وَقَدْ كَانَ فَرْدا ثُمَّ أَرْضَاهُ حِينَ أَعْطَاهُ عَهْدا
ظَلَّ عِنْدَ الأَتْرَاكِ كَالتذكار

(١) الحريق بلدة واقعة على وادي الفرع في مضيق بين جبلين وأهلها وأهل الحوطة من قبيلة بني تميم ويحكم الحريق آل هزان من عنزة وفي سنة ١٣٢٨ جرت بينهم فتنة قتل فيها بعضهم ولم يخضعوا لحكم الشريعة فحاصرهم عبد العزيز إلى أن سلموا وقد أطلقهم بشفاعة قاسم بن ثاني أمير قطر. أما أولاد سعود بن فيصل فقد ورثوا نزعة الاستئثار بالملك من جدهم سعود فبعد أن خلصهم عبد العزيز من ابن رشيد أخذوا يحاولون تنفيذ ما يجول في نفوسهم فأتوا إلى الخرج ليستقلوا به فأخرجوا منه ثم لجأوا إلى الحريق وفي نفوس الهزازنة ما فيها فاتحدت المآرب وانضمت إليهم الحوطة فهاجمهم عبد العزيز وأخضع الحريق والحوطة وقتل بعض الهزازنة وعفا عن آل سعود وبعضهم لجأ إلى العجمان ولكن الشيخ مبارك توسط في الصلح بينهم فأخلدوا إلى السكينة بعد أن تعددت منهم الفعال وتعدد منه الصفح والعفو خشية على الرحم أن يتقطع وخوفاً على تاريخ آل سعود الأبيض أن يتلوث بما تلوث به تاريخ بيت الرشيد وغيرهم.

(٢) في سنة ١٣٣٠ خرج الشريف حسين من الحجاز بجيوش جرارة إلى نجد وانضمت إليه قبيلة عتيبة وغيرها من بوادي الحجاز واتفق ان عبد العزيز أرسل أخاه سعداً إلى عتيبة يستنفرها وعوضاً من أن تنجده غدرت به فسلمته للشريف حسين الذي جعله وسيلة يهدد بها ابن سعود ويطلب منه الرضوخ لمطالب الاتحاديين الذين جهزوه للغرض نفسه وهي الاعتراف بتبعية الدولة وأن يدفع لها ستة آلاف مجيدي سنوياً وكانت الظروف سيئة من كل جهة فاضطر عبد العزيز أن ينهي المسألة بواسطة خالد بن لؤي فوقع المعاهدة لينقذ أخاه ويتفرغ لشؤونه الداخلية. وما كانت تلك المعاهدة إلا حبراً على ورق بقي في السجلات وكأنه في سلة المهملات.

فِتَنٌ لَوْ أَصَابَتِ الطَّوْدَ مَالا  زَلْزَلَتْهُ فِي حُكْمِهِ زِلْزَالا
ظَلَّ فِيهِنَّ ثَابِتاً مَا زَالا  وَضَعَ السَّيْفَ لِلْعُلَى وَالنَّوَالا
فَأَذَاقَ الْمُشَاغِبِينَ نَكَالا  (يَخْلُقُ اللهُ لِلْحُرُوبِ رِجَالا)
لاَ يَهَابُونَ كَثْرَةَ الأَخْطَارِ

»●«

# الترك والعرب

زَالَ فِي التُّرْكِ حُكْمُ الاسْتِبْدَادِ  وَأَقَامُوا دُسْتُورَهُمْ (برشاد)
وَتَوَلَّتْ تَدْبِيرَ أَمْرِ العِبَادِ  فِئَةٌ لَمْ تَكُنْ بِذَاتِ سَدَادِ
مِنْ دَوَاهِي (جَمْعِيَّةِ الاتِّحَادِ)  أَوْقَعَتْ مُلْكَهُمْ بِأَيْدِي الأَعَادِي
وَبَنَتْهُ عَلَى شَفِيرِ هَارِ

في سنة ١٣٢٦ حدث الانقلاب العثماني وخلع السلطان عبد الحميد الثاني وتولى السلطان محمد رشاد الخامس مقيداً بالدستور وأضحت السلطة المطلقة بيد رؤساء جمعية الاتحاد وفي مقدمتهم أنور وجمال وطلعت:

كان عبد الحميد بالأمس فرداً  فغدا اليوم ألف عبد الحميد

وعوضاً من أن يلتفتوا إلى موضع الداء ومواطن الاختلال وينفذوا برنامجهم الذي ملأوا الدنيا به ضجيجا (حرية، عدالة، مساواة) عمدوا إلى تنفير العناصر العثمانية وتوسيع شقة الخلاف بين الشعوب المحكومة والحكومة فوجهوا كل اعتنائهم إلى بث الدعوى الطورانية وتتريك العناصر العثمانية فنفرت منهم القلوب وانتشرت فكرة الاستقلال والانفصال في سائر الامبراطورية العثمانية وفي مقدمتهم الأمة العربية فأخذ الاتحاديون ينظرون إلى العرب نظرة الغضب والحقد والبغضاء، ويوجهون قواهم ودسائسهم لخضد شوكة كل من يرون فيه قوة ويخشون أن تلتم عليه الأمة العربية وأول من خصوه بقسم وافر من دسائسهم هو عبد العزيز بن سعود ليقضي الله أمراً كا مفعولاً.

»●«

أَنْشَأُوا دَعْوَةً إِلى (تورانـــا)  وَتَغَنَّوا بِفَتْحِ (جنكيزخانا)
وَأَرَادُوا الأُكْرَادَ والعُرْبانـــا  وَسِوَاهُم أَنْ يُذْعِنُوا إِذْعَانـــا
بَـــذَرُوا مِنْ فِعالِهِم أَضْغَانـــا  أَجَّجَـــتْ مِنْ جُنُونِهِم بُرْكانَا
فِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ والأَقْطَار

»●«

دَعْوَةٌ قَرَّبَتْهُمْ لِلتَـــــــلاَفِ  قَابَلَتْها الشُّعُوبُ بِاسْتِخْفَافِ
ثُمَّ لَمَّا حَمِي وَطِيسُ الخِلاَفِ  قَامَ حِزْبٌ يَدْعُو إِلَى الإِئْتِلاَفِ
وَيُرَاعِي الأَقْوَامَ بِالإِنْصَـــافِ  وَيُجِيبُ اسْتِقْلالَهُمْ بِاعْتِرَافِ
تَحْتَ ظِلِّ الهِلاَلِ حُكْمٌ إِدَارِي

»●«

قَـــاوَمَ الاتحَادُ قَوْلاً وَفِعْـــلا ذلك الحزبَ ثُمَّ أَفْنَـاهُ قَتْلا

وَبَنُو يَعْرُبَ الأُبَـــاةُ الأَجَـلا هُمْ أَشَدُّ الشُّعُوبِ عَزْماً وَحَوْلا

لَنْ يُقِيمُوا كَـلاًّ عَلَى القَوْمِ كَلاّ قَرَرُوا « الوَحْدَة »العَزِيزَة حَلاّ[1]

يَا لَهَا فكرة سَرَتْ بِانْتِشَارِ

»●«

(١) هذه الوحدة كانت مع الغرب (النصارى) ضد إخوانهم المسلمين على أمل الاستقلال ومع ذلك خيّب الغرب آمالهم حيث أنهم قاموا باحتلال أوطانهم وضربوا بعهودهم مع العرب عرض الحائط ولم يخرجوا منها إلاّ بعد أن أقاموا فيها من يمثلهم ويسير على نهجهم وذهب الاستعمار العسكري وبقي الاستعمار الفكري وفي بعضها لم يخرجوا فيها إلى الآن (مثل فلسطين) ولا يخفى عليك ما في كلمتي «بنو يعرب» من العصبية والقومية.

# المخاطـرة الثانيـة

## فتـح الاحســاء

### ١٣٣١

هُوَذَا ابنُ السُّعُودِ للعُرْب رَمْزُ  وَزَعِـــيمٌ إلى العُلَـــى مُسْتَفِزُّ
فَـــإذا عَزَّ فَهُوَ للعُرْبِ عِزٌّ  فَاسْتَشَاطُوا غَيْظاً عَلَيْهِ وَهَزُّوا
كُـلُّ أَعْدائِـه تُغِـيرُ وَتَغْزُو  حَرَكَـــاتٌ فِيهِنَّ هَمْزٌ وَلَمْزُ
حَرَّكَتْ مِنْهُ كامِنَ الأَوْتَارِ

»●«

إِكْتَفَـى قَانِعاً بِنَجْـدٍ كَفَافا  فَرَأَى مِنْ (جمال باشا) اغْتِيَافا
فَأَذاق الأَدْنَـاب سُمًّا زُعَافا  إِذْ دَهَى ابنَ الرَّشِيدِ والأَشْرَافَا
ثُمَّ أَمَّ الاحساءَ والأَسْيَافَـــا  وأَتَـى بالظبي يَحُلُّ الخِلافا
وَهيَ حَدٌّ لِكُلِّ خلف بارى

كان سلاطين آل عثمان وآخرهم عبد الحميد يرون في آل سعود أكبر خطر على الخلافة الإسلامية ويحسبون لقوتهم أكبر حساب فكانت حروب الدرعية وما تلاها من حروب إلى أن كانت المحاولة الأخيرة في وقعة البكيرية ورجوع سامي من الشيحية ولما ملك الاتحاديون مقاليد الحكم وقاموا بالدعوة الطورانية المبنية على تتريك العناصر لم يرق في نظرهم بقاء ابن سعود مسيطراً على نجد كلها بلا منازع وكانوا قد نقضوا يدهم من آل الرشيد فعمدوا إلى الشريف حسين وسعدون وغيرهما يدسون له ويقاومونه ناهيك بما تقوم به متصرفية الاحساء من إغراء البدويين آن وآن وفي الأخير أرسل مندوبه إلى بغداد يطلب من واليها جمال باشا السفاح فلم يسمعوه إلا عبارات التهديد والوعيد. كل هذه الأمور أوغرت قلب ابن سعود عليهم فأحب أن يقضي على آخر سلطة لهم في جزيرة العرب وهي الاحساء والقطيف وان يحكم السيف فهو الحكم الفيصل فصمم على أخذ الاحساء واستعادة تراثه القديم ولكن هناك عدواً آخر أقوى شكيمة من العسكر هم العجمان الذين لهم مصالح في الاحساء من سيطرة وغيرها ولا يهون عليهم ذهابها من أيدي الأتراك فضرب لهم موعداً في الشمال ليغزو مطيراً أضدادهم وبذلك أبعدهم من أطراف الاحساء وأتى بجنوده الحضر من أهل العارض وكان أهل الاحساء قد سئموا حكم الترك لاضطراب حبل الأمن واختلاله وسيادة الفوضى والبدو إلى أن ظل الرجل لا ينام في فراشه إلا وهو متوسد بندقيته المحشوة اتقاء للطوارىء.

»●«

فَأَتَى في جُيُوشِهِ ابنُ الإِمَامِ سَائِراً مـا يُرِيـدُ بالإِيهَـامِ
جَاعِلاً قَصْدَهُ امْتِيَارَ الطَّعَامِ فَأَنَاخُوا بِالعَيْنِ تَحْتَ الظَّلَامِ
ثُمَّ جَاؤوا مَشْياً عَلَى الأَقْدَامِ صَعِدُوا لِلْمُحَافِظِينَ النِيَامِ
وَهُم بَعْدَ سُكْرِهِمْ فِي خِمَارِ

»●«

لَيْلَةَ الخَمْسِ مِنْ جُمَادَى الأُولى أَكْمَلَ الجَيْشُ فِي البِلادِ الدُّخُولا
رَافِعِـينَ التَكْبِـيرَ وَالتَّهْلِيـلا حَيْثُ فَرَّ الأَتْرَاكُ مِنْهُم ذُهُولا
لَيْسَ يَـدْرُونَ لِلنَّجَاةِ سَبِيلا ثُمَّ نَادَى فِي السُّورِ عَرْضاً وَطُولا
إِنَّ عَبْدَ العَزِيزِ رَبُّ الدار

»●«

في شهر ربيع الأول سنة ١٣٣١ غادر عبد العزيز الرياض بجيوشه ونزل على الخبفس وأغار على بني مرة وقد استراب الأتراك منه فأرسلوا يستفهمون عن نيته فأجاب أنه لا ينوي إلا امتيار الطعام وفعلاً مون جيشه وأوهمهم أنه يريد العودة إلى الرياض وضرب موعداً للعجمان في الشمال وقصده إبعادهم وأتى يجد السير إلى أن نزل على عين ماء بقرب الاحساء ومشى ومعه ستمائة من الحضر على أقدامهم تحت أستار الظلام في ليلة ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٣١ ومعهم الجذوع والحبال إلى أن أتوا إلى السور من الجهة الغربية فتسلقه منهم عشرة رجال وألقوا الحبال إلى أصحابهم فتسلقوه. وكان الحراس بعد أن انتبهوا ينادونهم ولا يجيبهم أحد فحدثت ضجة ارتجت لها البلاد وتراكض الأتراك إلى القصور المحصنة داخل الكوت والمبرز وارتبك الأهالي لا يدرون من هو الهاجم وبعد أن استولى عبد العزيز على البلد أمر منادياً ينادي ان الحكم لله ثم لعبد العزيز بن عبد الرحمن عندها تهللت وجوه الناس وأقبلوا إليه زرافات ووحداناً يهنئونه ويبايعونه على السمع والطاعة أما المتصرف ومن معه فقد لجأوا إلى قصر إبراهيم داخل الكوت وهو قصر حصين محكم مملوء بالزاد والذخيرة.

»●«

لَيْلَةَ (الكُوتِ) وَهِيَ خَطْبٌ خَطِيرُ عِنْـدَ عَبْدِ العَزِيزِ أَمْرٌ يَسِيرُ
ضَـاقَ عَنْ وَصْفِ عَزْمِهِ التَّعْبِيرُ لاَ يَنَـــالُ المَرَامَ إِلاَّ الجَسُورُ
لَمْ تَحُـلْ دُونَهُ قِلاعٌ وَسُورُ فِيـهِ جُنْـدٌ مِن النِّظَامِ كَثِيرُ
وَهُوَ مِنْ أَهْلِهَا بِلا أَنْصارِ

»●«

أَصْبَـحَ النَّـاسُ كُلُّهُمْ فَرِحينـا وَأَتَوْا فِي عُهُودِهِم طَائِعِينـــا
وَبَقِيَ التُّرْكُ يَمْلِكُونَ الحُصُونـا أَلْـفَ نَفْسٍ كانوا وَبِضْعَ مِئِينا
أَصْبَحُوا فِي حُصُونِهِم قَابِعِينـا يَطْلُبُونَ الأَمَـــانَ وَالتَّأْمِينا
حِينَ خَافُوا مِنْ لَهْجَةِ الإِنْذَارِ

»●«

في ذلك اليوم سلمت البلاد كلها لعبد العزيز وأتت وفود الأهالي للتهنئة ولم يبق إلا الأتراك مع المتصرف داخل الحصون وعددهم يتجاوز الألف والخمسمائة وفي الصباح شرعوا يطلقون المدافع على البلاد فكانت طلقات طائشة فلم تصب أحداً وقد أخذ منهم الرعب كل مأخذ وفي تلك الأثناء قبض على أحد الموظفين الأتراك فأرسله عبد العزيز إلى المتصرف ليخيره بين التسليم أو يهاجمونه في الليلة الآتية فقبل المتصرف بالتسليم.

الكوت: في الاصطلاحات الأخيرة بمعنى الحصن أو القلعة ولا يعرف أصل تسميتها. والكوت في الاحساء بلدها الحصين. والمفوف هي: الكوت وما أحاط به من البيوت وقد بناه الأتراك في استيلائهم عليها سنة ١٠٤٠ بعد انقراض دولة الأجود العقيلي منها.

»●«

عَمَّهُمْ مَـــعَ سِلاحِهِمْ بِأَمَـــانِ  اخْتِرَامـاً لِلْجُنْـدِي العُثْمَانِي
فَمَشُوا «لِلْعَقِـير» بِاطْمِئْنَـانِ  لَمْ يَرَوْا غَـارَةً مِنْ البَـدْوَان
بِخَفِـيرٍ فَرْدٍ بِـلا أَيِّ ثَانِـي  إِنَّ ذَا مِنْ عَجَائِـبِ الأَزْمَـانِ
رُبَّ فَرْدٍ كَالأَلْفِ بِالاخْتِيَارِ[1]

»●«

إِنَّ فَتْـحَ الاحْسَاءِ أَحْدَثَ رُعْبا  فَتَرَى (قاسمَ ابنَ ثـانِي) هَبَّـا
وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْمُحِبِّينَ قُرْبـا  خَلَـــقَ اللهُ لِلسِّيَاسَةِ قَلْبـــا
لا يُرَاعِي لَـدَى المصَالِحِ قُرْبَى  غَيْرَ أَنَّ الحِمَـامَ جَاءَ فَلَبَّـى
ربَّه بَعْدَ أَطْوَلِ الأَعْمَارِ[2]

»●«

(١) قبل المتصرف بالتسليم فأعطاهم الأمان وأذن لهم أن يستصحبوا كل ما معهم من الأثاث والأمتعة ولم ينزع سلاح الجنود وقد قال للمتصرف إننا نحترم الجندي العثماني فلا ننزع سلاحه منه وقد خرجوا بقافلة كبيرة ولم يخفرهم سوى رجل واحد من رجال عبد العزيز وهو أحمد الثنيان رسوله إلى جمال باشا فلم يعارضهم أحد في الطريق بعد أن كانت أمثال هذه القوافل في زمن الأتراك أمنية من أماني البدو الذين يتدينون على منهوبات القوافل فيشنون عليها الغارات إلى أن وصلوا إلى العقير بسلام فجهزهم بالسفن إلى البحرين ليسافروا منها إلى العراق

(٢) كان الشيخ قاسم بن ثاني أمير قطر من أعز أصدقاء عبد العزيز وأحبهم إليه تربطها رابطة العقيدة السلفية وحسن الجوار وفي سنة ١٣٢٣ استنجد قاسم بعبد العزيز على أخيه أحمد بن ثاني وبني مرة فقد عصوا عليه وكادوا يخرجونه من قطر فبادر إليه في وقت كان القصيم يغلي فيه بمراجل التقلبات فضرب الثائرين ضربة أعادت للشيخ قاسم كامل نفوذه وسلطته وللمودة نفسها قبل شفاعته في الهزازنة وآل بسام بعد أن رفض توسطات أقرب الناس إليه ولكن السياسة التي قلبت قلب مبارك زرعت الخوف والريبة في قلب ابن ثاني فغضب غضبة شعواء وأرسل كتب الاحتجاج الحادة اللهجة إلى عبد العزيز يلومه على أخذه الاحساء ولكن الحمام عاجله قبل أن يتلقى الجواب فقد انتقل إلى جوار ربه بعد أن آناف على المائة من عمره وهو من أمراء العرب العصاميين المشهورين رحمه الله.

»●«

وَكَذاك« البحرين »قَامَتْ بِنَاسٍ  مِن مُرِيدي دَارِ الوَكِيلِ السِّياسي
خَنَسُوا لِلْفُلُولِ بِالوَسْوَاسِ  ثُمَّ أَحْيَوْا آمَالَهُمْ بَعْدَ يَاسِ
فَاسْتَقَلُّوا تِلْكَ السَّفِينَ الرَّوَاسِي  وَأَتُوا حِينَ غَفْلَةِ الحُرَّاسِ
عَلَّهُمْ يَغْسِلُونَ ثَوْبَ العَارِ

»●«

هَاجَمُوهُم وَلَاتَ حِينَ هُجُومِ  فَانْثَنَوْا بَيْن مُثْخَنٍ وَكَلِيمِ
ثُمَّ فَازُوا مِنْهُ بِعَفْوٍ كَرِيمِ  أَيَّ حِلْمٍ رَأَوْا وَأَيَّ حَلِيمِ
كُلَّ يَوْمٍ يَأْتِي بِفِعْلٍ عَظِيمِ  مَالِكٌ لِلْقُلُوبِ قَبْلَ الجُسُومِ
وَبِهِ سَارَ عَاطِرُ الأَخْبَارِ

»●«

لم يكن ابن ثاني وحيداً في تخوفه من استيلاء ابن سعود على الاحساء المجاورة لبلاده فهناك أيضاً أمراء البحرين من آل خليفة ومعهم وكيل دولة بريطانيا السياسي في البحرين لم يرق لهم أيضاً أن يكون ابن سعود على مقربة من جزيرتهم التي خضعت سابقاً لأجداده مثل قطر وهي أقرب إلى الاحساء من قطر فلما وصلت العساكر إلى البحرين في طريقها إلى العراق جاءهم أحد المقربين من دار الوكالة والمتصلين بالحكومة أيضاً فزين للمتصرف الرجوع إلى العقير والاستيلاء على القصر ولامه على التسليم بدون مقاومة تذكر وكانت في البحرين إذ ذاك باخرة لآل بسام فأخذوها ومعها سفن أخرى فأتوا بها إلى العقير على حين غفلة من حامية القصر فهاجموا أحد المراكز الصغرى فاحتلوه ولكن الحامية قابلتهم بالمثل فاستعادته منهم وكسرتهم بعد أن قتلت منهم ثلاثين رجلاً. وبلغ الخبر عبد العزيز فجاء مسرعاً، فوصل بعد منتصف الليل، فوجد الحامية قد قامت بواجبها خير قيام. وقد قابل الأتراك بالحلم والصفح جرياً على عادته فجهزهم ثانية وأعادهم من حيث أتوا. وكان قد أرسل سرية بقيادة الأمير عبد الرحمن بن عبدالله السويلم فاستولت على القطيف وأخرجت من فيه من الأتراك وكان احتلال الاحساء والقطيف خير جواب لتهديدات جمال باشا.

»●«

كَانَ حُكْمُ الأَتْرَاكِ حُكْماً عَجِيبَا  لَقِيَ النَّاسُ مِنْهُ أَمْراً عَصِيبا
قَطُّ ما أَمَّنُوا هُنَاكَ دُرُوبا  لا تَرَى إِنْ شَكَوْتَ ظُلْماً مُجِيبَا
حَازَ كُلٌّ مِنَ البَدَاةِ نَصِيبَا  فَأَدَالَ الإِلٰهُ بِالخُبْثِ طِيبَا
مِنْ أَمَانٍ وَنِعْمَةٍ وَيَسَار[1]

»●«

فَغَدَتْ نَجْدُ دَوْلَةً فِي الوُجُودِ  فَأَتَتْهَا الوُفُودُ تِلْوَ الوُفُودِ
هذه التُّرْكُ فِي ثِيَابِ الوَدُودِ  وَبَنُو (التَّايِمزْ) فِي جَمِيلِ الوُعُود
يَتَبَارُونَ فِي صُكُوكِ العُهُودِ  ثُمَّ فَازَتْ جُهُودُهُم بِعُقُود
لَفَحَتْهَا الحَرْبُ الضَّرُوسُ بِنَارِ[2]

»●«

(١) ملك الأتراك الاحساء والقطيف واطرافها المرة الأخيرة أربعاً وأربعين سنة وكأنهم جاؤوا لينشروا الفوضى والاختلال في ذلك القطر الزراعي الغني بدل أن يبثوا فيه الاصلاحات والظاهر أنهم لم يتشبثوا بحكمه مع ما كان يكبدهم من الخسائر إلا ليدعوا لهم التملك في نجد فقد كانوا يدعونه (نجد ولايتي) على أن السبل تقطعت لضعف هيبة الحكومة في نفوس البدو حتى بلغت بهم الجرأة إلى أنهم ينهبون الأهالي ويأتون بمنهوباتهم فيبيعونها في السوق علنا فلا يجرؤ أحد أن يطالب بها. أضف إلى ذلك تحكُّمهم في رقاب الناس وبيوتهم مما يطول شرحه كثيراً والناس تتناقل عنه أحاديث في غاية الغرابة.

(٢) أطل ابن سعود بعد فتحه الاحساء والقطيف على البحر على شاطىء الخليج العربي (من دوحة سلوة في قطر إلى بلبول بقرب الكويت) والخليج من طرق الهند أيضاً وفيه شبح الألمان المخيف وبالطبع وجد الأسد البريطاني جاثماً على سطح الخليج المتموج وما كان بد من تبادل المفاوضات والتعارف على رمال العقير آناً وعلى الصبيحية بقرب الكويت تارة، فكان تفاهم ودي وان لم تكن ارتباطات معنوية بعد. أما الترك فقد عادوا مصافحين موالين ولكن بعد خراب البصرة وهذا وفد يرأسه السيد طالب باشا النقيب ينجح في عقد المعاهدة العربية التركية على ماء الصبيحية فتأتي الموافقة عليها من الباب العالي مقرونة بالشكر وإن كان وراء الأكمة ما وراءها ولكن الحرب العظمى مزقتها شذر مذر.

# الحـرب الكـبرى

## ١٣٣٢

أَشْعَلُوها فِي الغَرْبِ حَرْباً ضَرُوسَا  جَعَلَتْ أَجْمَلَ البِلاَدِ وَطِيسَا
وَأَطَارَتْ عَنْ الجُسُومِ الرُّؤُوسَا  ثُمَّ أَفْنَـــتْ أَمْوَالَهُمْ وَالنُّفُوسَا
حَالَفَ الانْكلِيزُ فِيهَا الرُّوسَا،  وَفَرَنْسا: يُحَارِبُون النموسَا
مَعَ بُرُسْيَا والتركِ والبُلغار

»●«

وَيْلُها عمَّ فِي جَمِيعِ البِلاَدِ  مِنْ حِصَـــارٍ مُشَدَّدٍ وَحِصَـادِ
وَشُعُوبٍ تَنْحَـــازُ لِلأَضْـــدَادِ  ذا لِهـذَا وَذَا لِذاك يُعَادِي
وَغَـدَا ابنُ السُّعُود بِالمِرْصَـادِ  وَاقِفـاً لائِذاً بِحِصْنِ الحِيَـادِ
تَارَةً يَنْثَنِي وَطَوْراً يُدَارِي

في سنة ١٣٣٢ رمى الشاب الفوضوي قنبلته في سراجيفو، فكانت الشرارة التي أشعلت الحرب العظمى. سرت تلك الشرارة إلى هشيم المطامع والتزاحم فتأجج ناراً امتد لهيبها إلى كافة أنحاء العالم وهناك على حدود نجد تصادم النسر الألماني (وراء الترك) بالأسد البريطاني على شواطىء دجلة والفرات، وفي سوريا ومصر والحجاز، وأصبح شبح الحرب على قاب قوسين من الجزيرة العربية فكتب ابن سعود إلى الشريف الحسين بن علي وإلى الشيخ مبارك الصباح وإلى سعود بن عبد العزيز الرشيد يقترح عليهم أن يعقدوا اجتماعاً يتداولون فيه ما يجب أن يفعلوه في تلك الظروف وأن يكونوا يداً واحدة في الدفاع عن حقوق العرب إذا حصل عليها اعتداء من أحد المتحاربين وأن يقرروا الخطة التي يتمشون عليها في مسايرة الدول المتحاربة فأرسل الشريف ابنه عبدالله فعاد كما أتى وابن رشيد أعلن انضمامه إلى الأتراك. وفي ذلك الوقت أتاه السيد طالب مندوباً من قبل الترك وجاءه وفد آخر من الحجاز يرأسه الألوسي ومعه هدايا بله رسل الانجليز أيضاً، ولكنه آثر الحياد والوقوف موقف المتفرج ولم يشغل باله سوى ابن الرشيد المعزز من الدولة بالمال والعتاد.

قَــامَ بِالْبَيْــتِ عَابِــدٌ رَبَّانِي  عَائِـذاً بِالحَطِـيمِ والأَرْكَانِ
مِنْ مُرُوقِ الأَتْرَاكِ والعِصْيَانِ[1]

»●«

وَاذْكُرِ ابْنَ الرَّشِيـدِ فِي العُرْبَانِ  خَـادِمَ المُلْكِ مِنْ بَـنِي عُـثْمَانِ
إِذْ حَبَوْهُ بِالأَصْفَرِ الرَّنَّـانِ  وَسِلاحٍ مِنْ (أم خمس) القِصَارِ[2]

»●«

# وقعـة جَراب

١٣٣٣

نَفَّـذَ ابنُ الرَّشِيـدِ فِيما يَلِيـهِ  مَـا تَقُولُ الأَتْرَاكُ أَوْ تُمْلِيـهِ
حَاصِراً هَمَّـهُ بِثَـأْرِ أَبِيـهِ  فَأَتَـى لِلْقَصِـيمِ لا يُثْنِيـهِ
أَحَدٌ، تَقْدَحُ الضَغَائِنُ فِيـه.  فِي (جراب) الْتَقَى بِمَنْ يَبْتَغِيهِ
فَتَلاَقَى البَتَّارُ بِالبَتَّارِ[3]

(١) إشارة إلى الشريف الحسين بن علي شريف مكة وسيأتي ذكر ذلك في موضعه عند الكلام على الخلافة الإسلامية.

(٢) في الوقت الذي تم فيه عقد المعاهدة بين ابن سعود والدولة العثمانية بواسطة السيد طالب على ماء الصبيحية اجتمع سعود بن عبد العزيز بسليمان شفيق كمالي والي البصرة بقرب بلدة الزبير وتم بينهما التحالف على حرب ابن سعود على أن يكون منه الرجال ومن الدولة العتاد والمال فأعطته عشرة آلاف بندقية ومعها ذخائر وأموال كثيرة أخذها الأمير الشمري الشاب ليستعين بها على قتال خصمه.

(٣) جراب من مياه القصيم التقى فيه ابن سعود ومعه حضر أهل العارض ومطير والعجمان بابن رشيد ومعه حضر حائل وبادية شمر والجيشان يكادان يتكافآن في العدد وذلك في شهر ربيع الأول سنة ١٣٣٣ فأغارت مطير على جيش ابن رشيد وخيامه، فاكتسحته ووقعت الهزيمة عليه ولكن العجمان الذين تغلي قلوبهم حقداً على ابن سعود لاستيلائه على الاحساء كما تقدم أحبوا الانتقام فتراجعوا بخيلهم منهزمين فتمت الهزيمة على الجيشين فكانت الفائدة للبدو الذين نهبوا أموال المعسكرين والضرر على الترك الذين يئسوا من حليفهم وقد كانوا يرشحونه للقضاء على ابن سعود استعداداً لمحاربة الشريف بعد أن شموا منه رائحة الخيانة والمفاوضة مع الانجليز للقيام بالثورة العربية.

»●«

في «جراب» تَكَافَأَ الخَصْمانِ  جُنْدُ هذا بِقَدْرِ جُنْدِ الثَانِي
فَاسْتَمَرُّوا فِي جَوْلَةٍ وَطِعَانِ  فَازَ عَبْدُ العَزِيزِ بالرُّجْحَانِ
فَدَهَتْهُ خَيانَةُ العِجْمَان  فَفَدا الغُنْم قِسْمَةَ البَدْوَان
وَالأَمِيرَانِ أَصْبَحَا فِي انْكِسَارِ

»●«

# العجمان

## ١٣٣٣

قُمْ تَعَرَّفْ مَعِي إِلى «العِجمانِ»  هُمْ قَبِيلٌ يُنْمَى إِلى قَحْطَانِ
رُحَّلٌ يَقْطُنُونَ فِي نَجْرَانِ  ثُمَّ جَاؤوا الأَحْسَاءَ مُنْذُ زَمَان
فَأَنَاخُوا مِنْ عَسْفِهِم بِجران  شَبَّهُوهُم فِي العُرْبِ بِالأَلْمَانِ
فِي اتِّحَادٍ وَقُوَّةٍ وَاقْتِدَارِ

# العجمان

العجمان قبيلة من القبائل اليمانية تنتمي في نسبها إلى همدان من قحطان كانت في السابق تسكن بادية نجران وفي منتصف القرن الماضي انتقلت إلى نواحي الاحساء حيث السلطة هناك مستتبة لقبيلة بني خالد وكانت سياسة الإمام تركي تقتضي اضعاف بني خالد بمزاحمة سواهم فرحب بالعجمان وبرغم قلة عددهم تمكنوا من مزاحمة الخالدين واستأثروا بالسلطة دونهم. وهم مشهورون بالصرامة والحمية لبعضهم بعضاً، وفيهم التقلب والغدر وها قد نسوا فضل الإمام تركي عليهم وناصبوا ابنه الإمام فيصل العداء فسير إليهم ابنه الإمام عبدالله فأوقع بهم في «ملح» وكاد يفنيهم بعدها بعام في وقعة «الطبعة» بقرب كاظمة على خليج الكويت ثم أجلاهم إلى نجران. وبعد ولايته واختلافه مع أخيه سعود ذهب سعود إلى نجران فاجتمعوا عليه وآزروه وجاؤوا معه يناصرونه وليثأروا باسمه من أخيه فكانت واقعة «جودة» المشهورة ولهم فيها يد محسوسة وقد اشتهر منهم في تلك الحروب رئيسهم راكان بن حثلين وهو أحد الفرسان المشهورين والشعراء المجيدين، وآل حثلين من الناجعة ولهم الزعامة على القبيلة كلها.

لَيْسَ في البَدْوِ مِثْلُهُم من صلاب  جَعَلُوا التَرْكَ قَبْلُ كالأَلْعابِ
وَغَدَوْا في الحَسَا رسولَ خَرَابِ

»●«

هوذا ابنُ السُّعُودِ لَيْسَ يُحَابِي  إِذْ يُحَاسِبُهُمْ أَدَقَّ الحِسَابِ
أَسْلَمُوهُ بِالغَـــدْرِ يَوْمَ جرابِ  وَأَغَارُوا عَلَى «عُرَيب الدار»

»●«

فَأَتَـاهُ مُبَـارَكُ ابنُ الصَّبَاحِ  مُلْقِياً في الجرابِ بَاقي القِدَاحِ
بَيْنَمَا ابنُ السُّعُودِ دَامِي الجِرَاحِ  يَا بُنَيَّ- العِجْمَان جَاؤوا مَرَاحِي
ثُمَّ نَالُوا مِنْ مَالِـهِ المُسْتَبَـاحِ  الغِيَاثَ، الغِيَاثَ فَاسْمَعْ صِيَاحِي
يَا بُنَيَّ انْتَقِمْ من الفُجَّارِ

»●«

لما تولى الترك على الاحساء سنة ١٢٨٨ ازداد العجمان جرأة وصرامة حتى أصبحوا الحكام الحقيقيين في الاحساء فأكثروا فيها الفساد والنهب والولاة يلاطفونهم ويخشون جانبهم حتى أن بعضهم يشاركهم في الأعمال التي يأتونها ليأمنوا على أنفسهم منهم ولما أراد عبد العزيز أخذ الاحساء أبعدهم عنها بحيلة كما تقدم فلم يعلموا إلا وقد قضى الأمر فصبروا على مضض وأخذوا يتحينون الفرصة فانتهزوها في وقعة جراب فكانت خيانتهم سبباً لهزيمته ولولاهم لكان من المنتصرين وكانوا إذ ذاك على غير مايرام مع الشيخ مبارك الصباح فأغاروا أيضاً على (عريب دار) وهم خليط من القبائل تابعون لحكومة الكويت فنهبوهم وعادوا إلى الاحساء بدون مبالاة وقد أقبل القيظ بسمومه وحره وكان عبد العزيز في نجد وقد عقد صلحاً مع خصمه ابن رشيد ليلم شئونه ويستريح ولكن الشيخ مبارك كتب إليه يستنجده على العجمان ويطلب أن يسترد المنهوبات منهم فاعتذر بالقيظ فألح عليه وكان عبد العزيز يخشى من ابن رشيد أن ينتقض عليه وينقض العهد فيما إذا اشتبك مع العجمان بحرب وهم لا يردون المنهوبات إلا بالقوة ولكن الشيخ مبارك ألح عليه وتعهد له أن ينجده بالمال والرجال وقت الحاجة فلم ير بداً من الذهاب إلى الاحساء ليسترد المنهوبات ويؤدب العجمان على أفعالهم.

فَانْتَقَى مِنْ جُمُوعِهِ الشُّجْعَانا وَمَنَ الصَّيْفِ يَطْلُبُ (المجمانا)
فَانْتَحَوْا فِي الحَسَاءِ عَنْهُ مَكَانا فَاقْتَفَاهُمْ وَقَدْ أَتَوْا (كنزانا)
فِي ظَلاَمٍ فَكَانَ مَا قَدْ كانا كَسَرُوا جَمْعَهُ وإنَّ الحِصَانا
لَيْسَ يَخْلُو مِنْ كَبْوَةٍ وَعَثَارِ

»●«

عَادَ يُخْفِي فِي الجِسْمِ جُرْحاً خَطِيرا وَهُوَ يَنْعَى أخاه (سعد) الصَّغيرا
فَأَقَامَ العِجْمَانُ فِيهَا شُهُورا جَعَلُوهُ وَسْطَ الحَسَا مَحْصُورا
ثُمَّ نَادَى صَدِيقَهُ مُسْتَجِيرا فَأَتَى (سالمٌ) يَجِدُّ المَسِيرا
بَيْنَنَا الحَرْبُ دَامَ بِاسْتِمْرَارِ

»●«

وصل عبد العزيز إلى الاحساء فأحس العجمان بالشر فألفوا فلولهم واجتمعوا بقضهم وقضيضهم وانتحوا شمالي الاحساء إلى جهة الشرق ونزلوا بجانب البرق وقد صمموا على القتال ولم يكن لدى عبد العزيز من القوة ما يكفيه لتعذر جمعها في وقت القيظ وعلى أثر وقعة جراب مباشرة، فجند قوة كبيرة من أهل الاحساء وبعض البادية من بني هاجر، وبناء على إلحاح أخيه سعد عزم على مهاجمتهم في الليل وكانوا قد نزلوا كنزان مما يلي البرق فأتاهم بتلك الجموع المختلطة وكانت لهم في الاحساء عيون تطلعهم على حركاته فعلموا بذلك ونصبوا البيوت وكمنوا وراءها، وكانت ليلة حالكة الظلام فلم تكد الجموع تهاجم البيوت حتى اختلط الحابل بالنابل وظل الناس من أهل الاحساء يفتك بعضهم ببعض وتمت الهزيمة وقتل سعد بن عبد الرحمن في تلك الليلة وجرح عبد العزيز. وبعد المعركة أتى العجمان من الفظاعة شيئاً عظيماً وقد اجترأوا فاقتربوا من البلاد يناوشون القرى والحصون القتال وأتت من الرياض نجدة يقودها محمد بن عبد الرحمن واستنجد عبد العزيز بالشيخ مبارك فأنجده بمائة وخمسين وعليهم ابنه الشيخ سالم الصباح وقد طال الحصار واستمر القتال بينهم يومياً بالمناوشات.

»●«

صَدَّ عَبْدَ العَزِيزِ ضِيقُ المَجَالِ  لاعْتِصَامِ العِجْمَانِ بِالأَوْحَالِ
ثُمَّ جَفَّتْ مِيَاهُهَا بِالتَّوَالِي  فَأَتَاهُمْ مُفَاجِئاً فِي الرِّحَالِ
فَتَوَلَّوْا بَعْدَ اشْتِدَادِ القِتَالِ  فِي حِمَى ابْنِ الصَّبَاحِ نَحْوَ الشَّمَالِ
حَيْثُ لاَذُوا مِنْ دَارِهِ بِذِمَارِ

»●«

استمرت الحرب ثلاثة أشهر ولكن المجان لم يتمكنوا من احتلال إحدى القرى أو الحصون مع أن بعضها كان بعيداً عن مركز الدفاع فغدا المحاصرون محصورين وقلت ذخيرتهم وزادهم وقد تحصلوا على مساعدة وذخيرة من البحرين وقد علم بها الأمير عبد الرحمن بن سويلم أمير القطيف فجهز سفناً من جهته وطارد سفن المهربين وصادرها فأسقط في أيديهم وكانت المواضع التي نزلوها ضيقة المجال لا تتسع لميدان الحرب ولكنهم اضطروا أخيراً إلى الخروج منها فسنحت الفرصة لعبد العزيز فانتهزها، فهاجمهم في محط رحالهم ونصب المدفع على قمة جبل القارة واستطاع أن يخرجهم ويهزمهم شر هزيمة فولوا مدبرين ولكنه لم يستطع أن يتعقبهم فيستأصل شافتهم لأن إبله كانت قد أرسلت إلى نجد لقلة المراعي في الاحساء إبان القيظ وكانوا قد انتهبوا من الاحساء ونواحيها أشياء كثيرة فاحتملوها معهم وولوا لا يلوون على شيء إلى جهة الشمال ووجهتهم الكويت فأقاموا في جوارها.

»●«

# هجر البدو

مَثَلُ البَدْوِ كُلَّ حِينٍ وآنِ  فِي جَمِيعِ الأَمْصَارِ وَالبُلْدَانِ
كَسَرابٍ يَلُوحُ لِلظَّمْـــــآنِ  فَتَذَكَّرْ مَا جَاءَ فِي القُرْآنِ[1]
مَيْلُهُمْ فِي الحُرُوبِ كَالمِـــيزَانِ  لِقَوِيِّ الجُنُودِ وَالأَعْوَانِ
ثُمَّ لا يَصْبِرُون لِلإِنْتِظَارِ

»●«

هُمْ كَمَا قُلْتُ سَابِقاً كَالقَرَلَّى  لاَ يَنَالُ المَعْرُوفُ فِيهِم مَحَلاَّ
كَثُرَ النَّيْلُ مِنْكَ أَوْ هُوَ قَلاَّ  لَيْسَ يَرْعَوْنَ فِي المَطَامِعِ إِلاَّ
يَتَوَلَّـى هـذا وَذا يَتَخَلَّـى.  يَأْخُذُونَ الظُّرُوفَ كَالمَاءِ شَكْلا
وَرْدَةَ تَتْبَعُ الرِّيَاحَ الذَّوَارِي

(١) إشارة إلى قوله تعالى (الاعراب أشد كفراً ونفاقاً) الآية.

»●«

بِيئَةُ العَيْشِ أَثَّرَتْ في الطِّبَاعِ فَهُمُ في تَقَلُّبٍ وامْتِنَاعِ
دَائِماً في تَنَقُّلٍ في البِقَاعِ مِنْ حَضِيضٍ إلى عَلِيِّ اليَفَاعِ
هَمُّهُمْ في تَتَبُّعِ الأَطْمَاعِ أَيْنَ حَلُّوا في سَائِرِ الأَصْقَاعِ
فَهُمُ دَائِماً عَلى الأَكْوَارِ

»●«

صَاحَ دَاعي الفَلاَحِ بِالتَّوْحِيدِ وَمُهِيباً إلى جِنَانِ الخُلُودِ
بِمَسَاعِي عَبْدِ العَزِيزِ السُّعُودِ فَأَعَادُوا نِدَاهُ بِالتَّرْدِيدِ
وَنَفَوْا عَنْهُمُ رِدَاءَ الجُمُودِ بِانْقِلابٍ في الفِكْرِ والتَّقْلِيدِ
وَخُشُوعٍ في مُظْلِمِ الأَسْحَارِ

»●«

وغَدَوْا في اتِّحَادِهِم (إخْوَانا) كَتَآخٍ بَيْنَ الصَّحَابَةِ كانا
تَارِكِين الثَّارَاتِ والعُدْوَانا مُخْلِصِينَ الإيمانَ والإحْسَانا
مُظْهِرِينَ اجْتِهَادَهُمْ إعْلاَنـــا وَزَمَانُ النُّهُوضِ بِالمَجْدِ آنا

وَزَهَتْ «بالسعود» مِنْهُ الدَرَارِي

»●«

غَيْرَ أَنَّ الإمَامَ وَهُوَ الحَكِيمُ بِطِبَاعِ البَدْوِ الجُفَاةِ عَلِيمُ
لَم يُرِدْ وَضْعَ حالةٍ لا تَدُومُ رُبَّما تُحدِثُ العُدَاةُ الخصومُ
رَدَّ فِعْلٍ تَضِيعُ فِيهِ الحُلُومِ وَشُئُون البُدَاةِ لا تَسْتَقِيمُ

قَبْلَ تَقْيِيدِها بِقَيْدِ الجِدَارِ

»●«

فَدَعَاهُمْ إِلَى بِنَاءِ الدُّورِ رَاغِباً فِي إِقَامَةِ التَّحْضِيرِ
وَاقْتِنَاءِ المِحْرَاثِ بَعْدَ البَعِيرِ مُسْتَعِيناً بِالوَعْظِ وَالتَّذْكِيرِ
فَاسْتَجَابُوا بِرَغْبَةٍ وَسُرُورِ وَبَنَوْهَا فِي ظَرْفِ وَقْتٍ يَسِيرِ

مِئَةٌ أَو تَزِيدُ فِي المِقْدَارِ

»●«

ما انتهت حروب الدرعية إلا والدعوة السلفية أو الاصلاح الديني الذي قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد عم نجداً كلها ورسخ في نفوس أهليها ولكنه اختص بالحضر منهم خصوصاً في العارض وما والاه أما البادية فسرعان ما عاد أهلها إلى عاداتهم الجاهلية. ولكن الانقلاب الذي أحدثه عبد العزيز في بث الدعوة بينهم أمر لم يحصل له مثيل في تاريخ الإسلام فقد نبذوا عاداتهم الراسخة طائعين وأقبلوا على العبادة وقراءة القرآن حتى كادت الأمية تضمحل من بينهم بعد أن كانوا كلهم أميين ولكنه رأى بنظره الثاقب أن حالة البدو لا دوام لها وان من غريزتهم التقلب في الآراء والأحوال ولا يمكن الاعتماد عليهم في أمر ما داموا متنقلين في الصحاري والقفار فأمرهم بالتحضر وابتناء البيوت والإشتغال بالزراعة لأن التجارب علمته أن لا يعتمد إلا على الحضر. وقد جد في بث الدعوة ولم ينقض عقد من السنين إلا وتلك الصحارى المقفره والفيافي الموحشة ملآى بالمدن والقرى الآهلة بالألوف من السكان حتى ناهزت المائتين عداً، وأهمها الغطْمط والراهنة ونفي وساجر لقبيلة عتيبة المشهورة. والارطاوية ومبايض وفريثان وقرية العليا وقرية السفلى لقبيلة مطير. والرين والهياثم لقحطان. ومشيرفة للدواسر والصرار وعريعره للعجمان. وثنيه وقبه لحرب. وثاج للعوازم. والشباك للمرة وعين دار للهواجر والأجفر لشمر. ولو أردنا عدها لضاق بنا المقام ولن تمضي بضع سنوات حتى يتحضروا جميعاً.

# الخلافة

بَلَغَ السَّيْلُ بِالعِدَاءِ الرَّوَابِي  في نُفوسِ الأَتْرَاكِ والأَعْرابِ
في اضْطِهادٍ هذا وذا في اضْطِرابِ  هَيَّأَتْهُم لِثَوْرَةٍ وانْقِلابِ
(فَجَمالُ) أَفْنَى خِيَارَ الشَّبَابِ  وَبِذَا شَبَّ جَذْوَةَ الإِلْتِهَابِ
مِثْلَ مُلْقِيِّ البِنْزِينِ فَوْقَ النَّارِ

»●«

تُرْبَةٌ خِصْبَةٌ وَجَوٌّ مَطِيرُ  أَغْرَزَتْهَا لِلاجْتِمَاعِ البُذُورُ
وَمديرٌ لَدى الصِّعَابِ قَدِيرُ  عِنْدَ هذا كُلُّ البِلادِ تَثُورُ

»●«

يَا تُرَى مَنْ هُوَ القَدِيرُ الجَدِيرُ؟  وَلَدَيْهِ مَالٌ وَجُنْدٌ كَثِيرُ
مُسْتَقِلٌّ مِنْ جُمْلَةِ الأَحْرَارِ؟

»●«

سَوْفَ تَلْقَى الجَوَابَ مِنْ كُلِّ فَرْدِ :-  - هُوَ عَبْدُ العَزِيزِ سُلْطَانُ نَجْدِ!
قَلْبُـــهُ مُشْرَبٌ عَلَيْهِمْ بِحِقْـــدِ  حِقْدِ إِرْثٍ أَبْقَاهُ جَدٌّ لِجَدّ،
فَتَصَفَّحْ تَارِيخَ أَقْدَمِ عَهْدِ  لا تَرَى غَيْرَ مِدْفَعٍ أَوْ فِرِنْدِ!
وَحُرُوبٍ فِي سَائِرِ الأَدْوَارِ

»●«

فَأَتَتْـــهُ (انلكســترا) بالوُفُودِ  بِوُعُودٍ خَلَّابَـــــةٍ وَعُهُودِ
مَعَهـا صَوْلَجَانُ مُلْكٍ عَتِيدِ  تَحْـتَ تَاجِ الخِلَافَةِ المَنْشُودِ
فَأَبَى، نَاصِحاً - بِرَأْيٍ سَدِيدِ -  بِالشَّرِيفِ الحُسَيْنِ بَيْتِ القَصِيدِ
وَسَلِيلِ الخَلائِفِ الأَطْهَارِ

»●«

كَانَ هذا لِسَانَ حَالِ الإِمَامِ - (آخُذُ الحَقَّ مِنْ بَنِي أَعْمَامِي
وَأَنَا مَعْهُمُ عَلَى الأَقْوَامِ)- كَيْفَ يَأْتِي خَرْقاً عَلَى الإِسْلاَمِ ،
فِي سَبِيلِ الأَحْقَادِ والانْتِقَامِ ؟ وَهُوَ لِلدِّينِ مِنْ قَدِيمٍ حَامِي
ثُمَّ خَصَّ الحِيَادَ بالإِيثَارِ

قُضِيَ الأَمْرُ واشْتَفَى الثَّائِرُونا خَدَعَ الإِنْكِلِيزُ فيه (الحُسَيْنا)
بِوُعُودٍ بِخَطِّ (مِكْماهونا) حِينَ أَعْطَوْهُ غَيْرَ مَا يَمْلِكُونا :
(مَلِكُ العُرْبِ!!) (آمرُ المُؤْمِنينا!!) مِنْ جِبَالِ الطُّورُوسِ مَعَ طورسِينا
لِلْمُحِيطِ الهِنْدِيِّ وَالأَنْهارِ[1]

(١) نهرا دجلة والفرات والمراد بذلك العراق.

من المعلوم أن الترك لم يقاوموا أحداً من أمراء العرب مقاومتهم لآل سعود منذ ظهر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود إلى عهد استيلاء عبد العزيز على الاحساء والقطيف. حاربوهم مادياً بعريعر ودجيني ومحمد علي باشا وخورشيد باشا وبواسطة متصرفيهم في الاحساء وفي البكيرية والشيحية واختلقوا لهم المشاكل وألبوا عليهم أمراء العرب من آل رشيد وغيرهم، وأدبياً بنشر الدعوة ضدهم بواسطة دحلان وغيره من علماء الدين فنشروا عنهم الأكاذيب والفتاوى الباطلة ونسبوا إليهم ما شاؤوا من التهم في الدين حتى شوهوا سمعتهم في العالم الإسلامي. ولما دخلت تركيا في الحرب العظمى وقتك جمال باشا برؤساء العرب في سورية كانت فعلته خير سلاح ناله الحلفاء وأشهروه في وجه الترك لإثارة العرب عليهم وكانت الأفكار مهيأة للثورة والنفوس متحفزة للوثوب ولا يعوزها إلا رئيس قدير يرفع راية الثورة لتنضوي تلك الجماهير الخانقة تحتها وأول من يتبادر إليه الذهن من أولئك الأمراء هو الإمام عبد العزيز وفعلا فاوضه السير برسي كوكس في الأمر وعرض عليه أمر الخلافة فامتنع خوفاً أن يسبب وهنا في الإسلام وكانت تركيا في ذلك اليوم تمثله ولم ينضم إليها خوفاً من خصومها الأقوياء وهم يحيطون به من كل جانب وهو يرى تركيا عاجزة عن حفظ ممتلكاتها فأحر بها أن تعجز عن حمايته وأمثاله من الموالين لها. ولما أكثر عليه السير برسي كوكس اللحاح أشار عليهم بالشريف حسين فهو أولى بالخلافة لانتسابه إلى البيت الهاشمي. فوقف على الحياد ضارباً بالأحقاد القديمة والمطامع عرض الحائط إلى أن قضى الله أمره.

»●«

فَغَـدا في حِجَـازِهِ مُسْتَقِـلاً  مَاضِياً في الأُمُورِ رَبْطاً وَحَلاً
قَابِضاً في الشُّئُونِ جُزْءاً وَكُلاً  تَطْبِيـه أحلامُـه حَيْـثُ ظَـلاً
يَحْسَبُ ٱبْن السُّعُودِ في نَجْدِ كَلاًّ  هُو في نَجْـدٍ عَامِلٌ لَيْسَ إلاّ
خامِسٌ في مَرَاتِبِ الأَقْدَارِ!

»●«

# وقعـة تربـه

## ١٣٣٧

(تَرْبَةٌ) مِنْ مَسَاكِنِ الأَشْرَافِ  أَهْلُهَـا في الثَّلاَثَـةِ الآلافِ
دِينَهُمْ دِينُ صَالِـحِ الأَسْلاَفِ  فَهُم وابنُ عَمِّهِمْ في خِـلاَفِ
وَمعَ ابنِ السُّعُودِ أَهْلُ تَصَافِي  تَبَعُ نَجْدٍ في المَوْقعِ الجُغْرَافي
وَالحُسَيْنُ ادّعَى بِهَا لِلْجِوارِ

بعد أن يئس الانكليز من عبد العزيز وجهوا جهودهم إلى الحسين بن علي شريف مكة وتمت المفاوضات بينهم وبينه ووقع السّير مكماهون المعاهدة التي يدعوها الحسين بمقررات النهضة وبموجبها يكون الحسين ملكاً للعرب في سورية والعراق وجزيرة العرب ما عدا عدن والبصرة وفي الواقع ان الانكليز استثنوا ما بأيديهم وأعطوه ما لا يملكونه في ذلك الوقت. عندها أعلن الحسين الثورة العربيـة وهب لمحاربة الترك فأخرجهم من مكة وحاصرهم في المدينة وحشد الأمير فيصل الجيوش لمحاربتهم في سورية وأعلنت الملكية العربية وكان الحسين يعد الجزيرة ومن جملتها نجد جزءاً لا يتجزأ من مملكـته ولا يرى في عبد العزيز إلا أميراً يجب أن يخضع للجلالة الهاشمية وإذا تحدث عنه قال انه أمير من الدرجة الخامسة لما يجده لأهل نجد من الكره الموروث.

## تربـة

تربة والخرمة بلدتان بين الحجاز ونجد وهما شرقي جبل حضن وهو الحد الفاصل بين الحجاز ونجد في العرف الجغرافي وعلى هذا فهما من البلاد النجدية وتسكنهما قبيلة البقوم من عتيبة وبعض من سبيع والرئاسة فيهما للأشراف أبناء عم الحسين والأمير هو الشريف خالد بن لؤي وقد اعتنق أهل تلك البلاد مذهب السلف من عهد آل سعود الأولين ولم يزالوا من الموالين لهم الخاضعين لأمرهم ولكن الحسين يأبى إلا أن يضمهم إلى الحجاز مهما كلفه الأمر وقد جهز عليهم عدة حملات بقيادة الشريف شاكر وكان نصيبه الفشل وقد شغله حصار المدينة عن تجهيز حملة كبيرة ولم يكن مع خالد على ما يرام برغم اشتراكه في حصار المدينة وقد حصلت له عدة إهانات أحفظته آخرها لطمة الأمير عبدالله له المعدودة من اللطمات التاريخية المشهورة فاعتزل خالد ورجع إلى بلدته مغاضباً.

»●«

حِينَ ذَلَّتْ (فَروقُ) (والبسفورُ)  ضَاق ذَرْعاً (فخريٌّ) المَحْصُورُ
سَلَّمَ الأَمْرَ حَيْثُ فَازَ الأَمِيرُ  فَأَتَى مِنْهُ لِلإِمَامِ البَشِيرُ
أَبَشِيرٌ رَسُولُـــه أَمْ نَذِيرُ؟  «قَدْ ظَفِرْنَا وَجَيْشُنَا المَنْصُورُ
زَاحفٌ فِي تَعَقُّبِ الأَشْرَارِ!»

»●«

وَاصَلَ الزَّحْفَ جَيْشُهُ لِلأَمَامِ  فِي أُلُوفٍ مِنْ سَائِرِ الأَقْوَامِ
مَعَ أَلْفَيْنِ مِنْ جُنُودِ النِّظَامِ  وَقَدْ احْتَلَّ (تَربةً) بِسَلَامِ
ثُمَّ أَوْصَى (لِخَالِدٍ) بِكَلَامِ  دَاعِياً قَوْمَهُ لِلاَسْتِسْلَامِ
مُنْذِراً أَهْلَ (خرمةٍ) بالدَّمارِ!

»●«

لم يصبر قائد تركي على الحصار في بلاد العرب صبر فخري باشا قائد حامية المدينة المنورة فقد ظلت جيوش الأمير عبدالله بن الحسين تحاصره ثلاث سنوات إلى أن سلمت الآستانة ودخلها جيوش الحلفاء بعد الهدنة، فسلم بعد أن يئس من كل شيء مضطراً وذلك في ١١ ربيع الثاني سنة ١٣٢٧ وقد استولى الأمير على أسلحة الحامية وذخائرها وكتب إلى الإمام عبد العزيز يخبره بخبر الفتح وما أفاء الله عليه من الغنيمة وأن جيشه المنصور لم يبق أمامه ما يصده عن تعقب الأشرار والخوارج! (يشير إلى أهالي تربة والخرمة إذا لم يكن يقصد عبد العزيز نفسه كما يتبين من رسالته إلى خالد بن لؤي) وانه ينوي الرجوع إلى مكة للمثول أمام والده صاحب الجلالة الهاشمية ولكنه بدل أن يتوجه إلى مكة اجتمع بوالده على «عُشيرة» وواصل الزحف منها إلى جهة تربة وهو يخفي قصده الحقيقي عن عبد العزيز وبرغم تظاهره فقد علم عبد العزيز بما ينطوي عليه فأرسل سرية في ألف ومائتين من الاخوان يقودها سلطان بن بجاد بن حميد للدفاع عن أهل تربة إلى أن يأتيهم عبد العزيز بمن معه فنزلت السرية على الشريف خالد بن لؤي في الخرمة وكان جيش الأمير عبدالله مؤلفاً من خمسة آلاف من البدو والفين من الجنود النظامية ومعه من الآلات والمدافع والاستعدادات الحربية الشيء الكثير وأكثره مما غنمه من فخري باشا. وفي يوم ٢٤ شعبان سنة ١٣٣٧ هاجم تربة وكان قد أرسل ناساً من البقوم دخلوا البلد بحجة الدفاع عنها مع قومهم ولما وافاها ثاروا ودعوا للأمير فتسنى له دخولها بسلام فاستباحها وقتل من فيها من أهل نجد وبعض المفضوب عليهم من أهلها.

»●«

« سَوْفَ نَقْضِي الصِّيَامَ مِنْ رَمَضَانِ  ثُمَّ نُفْنِي شَرَاذِمَ الإِخْوَانِ
وَنُضَحِّي فِي (الكُوتِ) بِاطْمِئْنَانِ »  ثُمَّ نَامَ الأَمِيرُ بَيْنَ الأَمَانِي..

»●«

(خَالِدٌ) فِي الجُيُوشِ مَعَ (سُلطَانِ)  نَزَلُوا مَاءً اسْمُهُ (القرنَانِ)
فَأَتَتْهُمْ رِسَالَةُ الإِنْذَارِ

»●«

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ أَوَانَ الأَصِيلِ  بِهُجُومٍ فِيهِ شِفَاءُ الغَلِيلِ
وَتَنَادَوْا كَالرَّعْدِ بِالتَّهْلِيلِ  حَيْثُ لاَقَوْا كَثِيرَهُ بِالقَلِيلِ
وَمَجَارِي الدِّمَاءِ مِثْلُ السُّيُولِ  يَا لَهَا لَيْلَةً لعزرائِيلِ
ذَاقَ فِيها الأَميرُ طَعْمَ الصَّغَارِ

وكتب إلى رؤساء تلك النواحي يهددهم إن لم يأتوا طائعين. وكان لديه رسول لعبد العزيز فأطلقه وقال له أخبر صاحبك بما رأيت، وكان خالد بن لؤي وسلطان لما بلغهما خبر قدوم الأمير توجها للدفاع عن أهل تربة وقد نزلا ماء يبعد عنها أربع ساعات يدعى « القرنين » وقال الأمير للرسول أخبر خالداً ومن معه من الخوارج أننا سنكفيهم مؤنة القدوم إلينا ولا يظن أننا نقصد الخرمة فقط بل سنصوم رمضان في الخرمة ونعيد الأضحى في كوت الاحساء بعد أن نذيقهم ما يستحقونه من الجزاء. ووافاهم الرسول بعد صلاة العصر فشق جيبه وأخبرهم بما فعله الأمير في تربة وبما قاله له فتشاوروا في الأمر وقر قرارهم على مهاجمته تلك الليلة فمشوا أصيل يوم ٢٤ شعبان سنة ١٣٣٧ ووجهتهم تربة وما انتصف الليل إلا والاخوان قد بلغوا نواحي البلدة وكانوا قد علموا بترتيب جيش الأمير من الرسول فانقسموا ثلاث فرق فرقة الخيالة ذهبت من وراء مخيم الأمير لتقطع عليه خط الرجعة وفرقة سلطان ووجهتها الجنود النظامية المخندقة وفرقة خالد يمت مخيم الأمير وقد نام فيه يحلم بالأماني الجميلة والملك الواسع وما راعه إلا أصوات التكبير والتهليل تتصاعد من أفواه الإخوان الهاجمين وكانت ساعة هائلة خيم فيها الموت وتطايرت الرؤوس عن الجسوم وفتكت كل فرقة بمن يليها فقد هاجمت فرقة سلطان بن بجاد العساكر النظامية وأعملت فيهم السلاح ولم ينج منهم أحد وتقدم خالد إلى مخيم الأمير ففتك بالسرايا التي دونه وفر الأمير هارباً بمن معه من الحامية فما راعه إلا والخيل قد باغتته وفتكت بمن معه ولم ينج إلا هو بنفسه ومعه اثنا عشر رجلاً وتحصن من بقي من ذلك الجيش في قصر فهاجمهم الاخوان في النهار وفتكوا بهم. وقد قتل في تلك الوقعة خمسة آلاف نفس وقضت على آمال الحسين.

تَمَّ ذَا والإِمَامُ بِالجَيْشِ آتٍ  فَأَتَى لِلْمَكَانِ بَعْدَ الفَوَاتِ
حَيْثُ هَالَتْهُ كَثْرَةُ الأَمْوَاتِ  فَبَكَاهُمْ بِذَارِفِ العَبَرَاتِ
وَاكْتَفَى عَنْ عِقَابِ تِلْكَ العُتَاةِ  وَهُوَ لَوْ شَاءَ أَخْذَهُمْ فِي غَدَاةِ
لَاقْتَفَاهُم بِجَيْشِهِ الجَرَّارِ

لم يكتف عبد العزيز بالسرية التي أرسلها مع سلطان بن بجاد فقد حشد جنداً كثيراً مؤلفاً من اثني عشر ألف مقاتل وتوجه بنفسه للدفاع عن أهالي تربة والخرمة بعد أن تأكد من سوء نية الأمير عبدالله وقد وافاه النجاب في الطريق بعد الوقعة بخمسة أيام فأخبره بتفاصيلها فواصل السير إلى أن أتى تربة وشاهد تلك المجزرة البشرية الهائلة ولم يتمالك أن بكى على أولئك القتلى البائسين وأمر بدفنهم واجتمع لديه من الأثاث والآلات والأسلحة النارية الشيء الكثير وهي مجموعة قوات الطرفين المتحاربين في حصار المدينة: أسلحة الجيش الهاشمي وأسلحة جنود فخري باشا. فاستولى عبد العزيز على الجميع وما كاد يستقر في تربة حتى تنادى الإخوان إلى الطائف وكانت فرصة سانحة إذ لو تقدموا إلى الحجاز لما وجدوا أمامهم أقل مقاومة لأن الجيوش الهاشمية انحلت ويتعذر جمع غيرها في مثل تلك الظروف. ومع أن الحسين كان هو البادىء بالعدوان فان عبد العزيز المتصف بالأناة والروية والحلم رأى بثاقب نظره أن الساعة لم تحن بعد واكتفى بما نال الحسين من الخيبة والفشل وأمر الاخوان بالرجوع إلى نجد. أما الحسين فلم يزدد إلا عدواناً ومقاومة فأوصد البيت الحرام في وجوه أهالي نجد ومنعهم من الحج وأخذت جريدة القبلة تنشر المقالات التي يحبرها الحسين بقلمه في الطعن بأهل نجد وابن سعود مما كان له الأثر الأسوأ في نفوسهم وصارت من أكبر الأسباب الدافعة لعبد العزيز على فتح الحجاز كما سيأتي.

# فتح حائل

١٣٤٠

عُدْ بِنَا لِلْحُسَيْنِ- بَيْنَ الوَعِيدِ ... وَصِيَاحِ السِّبَابِ وَالتَّهْدِيدِ
بَعْدَ فَوْتِ المُنَى وَسَحْقِ الجُنُودِ- ... قَدْ رَمَى نَجْدَ بِالعَدُوِّ اللَّدُودِ
« بِسُعودِ العَبْدِ العَزِيزِ الرَّشِيدِ » ... بِعَتَـــادٍ- يَسُوقُـــهُ- وَنُقُود:
« خُذْ وَجَنِّدْ مِنْ شَمَّرَ الأَحْرارِ »

»●«

أَصْبَحَتْ حِينَ ذَاكَ حَالُ الشرِيفِ ... تُشْبِهُ ابنَ الصَّبَاحِ بَعْدَ الصَّرِيفِ
فَحَـذا حَذْوَهُ بِرَأْيٍ حَصِيفِ ... ضَارِباً ضِدَّهُ بِسَيْفِ الحَلِيفِ
بَيْدَ أَنَّ الظُّرُوفَ غَيْرُ الظُّرُوفِ ... حَبَّ هذا قَبْلَ انْشِقَاقِ الصُّفُوفِ
هُو ذَا الدِّينُ قَدْ فَشَا فِي (قفار)[1]

لم يكن الحسين يحسب حساباً لأهالي نجد وابن سعود فقد كان يعده في امراء العرب من الدرجة الخامسة ولم يزن قواته في انهزامات الشريف شاكر المديدة فقد كان يعول على جيوشه التي كانت مشغوله بحصار المدينة ولكن وقعة تربة ألقت عليه درساً وعلمته أن لا يعتمد على جنوده المرتزقة وقواده الغير محنكين وعلم أن أهالي نجد لا يقاتلون إلا بمثلهم فالتفت إلى خصم عبد العزيز اللدود، إلى سعود بن عبد العزيز ابن متعب الرشيد، ولسان حاله يقول: «لا يفل الحديد إلا الحديد» وكأنه أراد أن يتشبه بمبارك الصباح في سياسته التي قضى بها على خصمه. استنجد الحسين بابن الرشيد على محاربة عدو الاثنين وفتح له الخزائن وأمده بالأسلحة والعتادات الحربية. وكان سعود إذ ذاك مرتبطاً مع عبد العزيز بصلح على أثر المناوشات الأخيرة فنكث ولا قيمة للصلح في نظره متى سنحت الفرصة للانتقام ولم يكن الحسين موفقاً في سعيه توفيق مبارك فان الظروف قد تبدلت وشمر قد انقسمت على نفسها ودين كثير منها وأصبح اسم الاخوان مرعباً خصوصاً بعد وقعة تربة وليس في سعود الرشيد من المؤهلات ما يمكنه من مقاومة ابن سعود والقضاء عليه فكانت تجربة غير ناجحة أيضاً إن لم تكن نتائجها عادت بالعكس على الحسين، فقد كانت من أهم الدواعي التي حدت بعبد العزيز إلى فتح حائل وتكوين وحدة نجدية أقضت مضجعه وقضت على عرشه.

.....

(١) قفار اسم قرية من قرى حائل والمراد بذلك هنا هي شمر.

»●«

نَكَثَ الصُّلْحَ والعُهُودَ سُعُودُ  فَنَهَاهُ النَّاهُونَ عَمَّا يُرِيدُ
فَتَرَاهُ بِالاَعْتِذَارِ يَعُودُ  كُلُّ يَوْمٍ نَقْضٌ فَصُلْحٌ جَدِيدُ
حَاكِمٌ طَائِشٌ وَشَعْبٌ عَنِيدُ  مُسْتَشَارُوهُ بِسْوَةٌ وَعَبِيدُ

أَيْنَ هذا مِنْ ذَاك في الاخْتِيارِ

»●«

ثُمَّ أَلْهَتْهُ فِتْنَةُ (الشعلان)  ثُمَّ أَوْدَى بِغَدْرِ كفُّ الجانِي
فَتَوَلَّى ابنُ مُتْعَبٍ في زَمَان  هَيْمَنَتْ فِيهِ (فاطم السبهان)
مَعَهَا في شُؤُونِهِم عِبْدَان  فَوْقَ عَرْشٍ بِالدَّمِ أَحمرَ قَانِي

وَهوَ بَيْنَ الأَنْيَابِ وَالأَظْفَارِ

»●«

حقاً إن الحسين لم يحسن الاختيار كزميله الشيخ مبارك ولا وضع آماله في ابن رشيد في محلها فقد كان الأمر والنهي بيد إحدى نساء القصر تدبره من وراء الستار وهناك جيش من العبيد لهم السلطة التامة والكلمة النافذة على صاحب الأمر ولصغر سنه تعوزه أشياء كثيرة من شروط الإمارة والتدبير فما سمع نداء الحسين حتى لباه ونقض الصلح وقلب ظهر المجن دون أن يحسب لمعشره وقومه أدنى حساب وكان أكثرهم على ولاء ابن سعود فلم يرضوا بنقض الصلح وأنكروا على سعود فعلته التي لم يجد لها مبرراً فاضطر إلى أن يعتذر ويجدد عهد الصلح ثانية فقبل ابن سعود عذره ولكنه يعلم قيمة الصلح فأحب أن ينتظر النتيجة، وان جنحوا للسلم فاجنح لها، وظل سعود يلتمس الأعذار عند الحسين ويسوفه. على أن الظروف سهّلت له عذراً حسناً فقد اختلف النوري بن شعلان مع أهل جوف فاستنجدوا بابن الرشيد عليه فسار إلى النوري وحاربه واستولى على الجوف وضمها إلى حائل وكان عبد العزيز قد لزم جانب الحياد احتراماً للصلح الجديد برغم استنجاد النوري به. على أن ابن الرشيد لم يتمتع بلذة هذا الفوز الجديد فما هو إلا ان عاد إلى حائل حتى قتله ابن عمه عبدالله ابن طلال بن نايف بن طلال بطلق ناري غدراً وكانا قد خرجا للنزهة وجلسا يرميان هدفاً وعمد العبيد إلى قاتل مولاهم فقتلوه وتولى بعده ابن أخيه عبدالله بن متعب ابن عبد العزيز الرشيد.

»●«

جَـاءَ لِلصُّلْحِ مِنْهُمُ الإِرْسَالُ وَهُوَ صُلْحٌ أَسَاسُهُ الإِحْتِيَالُ
فَدَعَاهُمْ وَقَـدْ عَرَاه المَـلالُ مِنْ أُمُورٍ مَصِيرُهُنَّ اخْتِـلَالُ
بِمَقَـالٍ تَمُـتْ بِـهِ الأَقْوالُ: «لَكُم وَسْطَ حائل اسْتِقْلالُ
وَاتْرُكُوا الإِتِّصَالَ بِالأَغْيَار»

»●«

رَفَضوا مَا أَرَادَ والرَّفْضُ قاضِي بِالعِدَا بَيْنَ حائلَ وَالرِّيَاضِ
نَفَدَ الصَّبْرُ بَعْدَ طُولِ التَّغَاضِي فَشِفَاءٌ لِتِلْكُمُ الأَمْرَاضِ
مَوْتُ أُوْلَى الخَصْمَيْنِ بِالانْقِرَاضِ وَانْتَهَى الأَمْرُ بِاسْتِلَالِ المَوَاضِي
أَعْلَنُوا الحَرْبَ ثَمَّ بِالاسْتِهَارِ

»●«

بعد أن تربع عبدالله بن متعب على مسند الحكم أرسل رسلاً من قبله إلى عبد العزيز يخبره بولايته ويطلب تجديد الصلح بينهما ولكن عبد العزيز يعلم أنه صلح موقت تقصد منه إطالة الوقت إلى أن يتم توطيد الأمور فان اليد التي كانت تدفع سعودا لاتزال قابضة على ناصية الحال وقد أصبحت عهود الصلح لا قيمة لها عند آل الرشيد فلم يعقد صلح إلا لينقض وما خط القلم شيئاً إلا محاه السيف في اليوم الثاني ولم تكن دسائس الشريف حسين ومعاهدته لسعود على محاربة عبد العزيز ببعيدة العهد ولا يبعد أن يعود الحسين إلى مفاوضة عبدالله المتعب لأنه بعد وقعة تربة لم يعد يهدأ له بال. لهذه الأسباب العديدة أجاب عبد العزيز طلبهم إلى الصلح ولكنه اشترط أن يكون لهم استقلالهم في إدارة شئون حائل وشمر وان لا تكون لهم صلات خارجية مع أي كان وان يرجعوا في شئونهم الخارجية إلى عبد العزيز نفسه، وأكثر شمر لم ير بأساً في إجابة تلك الشروط لأن في قبولها القضاء على تلك الفتن والحروب التي طال أمدها، ولكن القابضين على شئون القصر رأوا في ذلك إهانة لعزّتهم ولم تسمح نفوسهم أن يذعنوا وأصروا على بقاء حكمهم كما كان سابقاً ولم يجد عبد العزيز بداً من حسم الخلاف بالسيف لتوحيد مملكة نجد والقضاء على حالة الفوضى القديمة فكان الرفض وتداعى الفريقان إلى السلاح.

»●«

زَحَفَتْ لِلْقِتَالِ مِنْهُ الجُنُودُ  وَعَلَيْهَا (مُحَمَّدٌ) و (سعودُ)
لا يَفُلُّ الحديدَ إلاّ الحديدُ  فَأَتَى الضِدَّ يَوْمَهُ المَوْعُودُ
وَبِهِ كَادَتِ الجِبَالُ تَمِيدُ  حَاصَرُوهُ إنَّ الحِصَارَ شَدِيدُ
ذَلَّ مَنْ يَحْتَمِي بِعُقْرِ الدَّارِ

»●«

هي حَالٌ لحائل أيُّ حَالِ  في حِصَارٍ مُشَدَّدٍ وَقِتَالِ
وَرِجَالٍ تَخِرُّ فَوْقَ رِجَالِ  كُلُّ ذا وَابْنُ متعبٍ في نِضَالِ
ثُمَّ خَارَتْ قُوَاهُ خَوْفَ الزَّوَالِ  مُذْ أَتَاهُ «مُحَمَّدُ بنُ طلالِ»
حَيْثُ أَمْسَى مَا بَيْنَ نَارٍ وَنَارِ

»●«

استنفر عبد العزيز أهالي نجد ومشى إلى القصيم بعشرة آلاف مقاتل فأقام هناك وأمر على قسم من الجيش الزاحف أخاه محمد بن عبد الرحمن وأمره أن يهاجم حائلاً ويطوقها بالحصار وولى ابنه سعوداً ولي العهد على القسم الآخر وأمره أن يزحف إلى شمر فيناوشهم القتال فزحفت الجيوش وأحاطت بحائل وهناك أرسل ابن متعب وفداً يطلب الصلح على أساس الشروط المفروضة ولكن بعد فوات الوقت وليس أمامه إلا الحرب أو التسليم وقد وحدت القيادة تحت أمرة سعود وعاد محمد إلى أخيه واشتد الحصار بحائل وانقطعت عنها السبل ولاح بها شبح المجاعة المخيف هذا وابن متعب قد عول على الدفاع حتى النفس الأخير ولكن حدث له أمر لم يكن بالحسبان فان ابن عمه محمد بن طلال أخا عبدالله الذي قتل سعوداً قدم إلى حائل من الجوف بحجة الدفاع عن قومه ووطنه فاوجس ابن متعب منه خيفة لأن ابن طلال لا يتردد في تمثيل دور أخيه توصلا إلى الحكم ولو في ذلك الوقت العصيب فوقع بين نارين نار في الخارج تحيط به ونار كامنة في جوفه لا يعلم متى يمتد لهيبها فتلتهمه فالمسألة الآن مسألة حياة أو موت ولا يدري أيدافع خصمه عن بلاده أم يدافع ابن عمه الأدنى عن حياته ففضل الالتجاء إلى الخصم لأن وجود السلامة عنده أيسر وسرعان ما سلم نفسه إلى سعود بن عبد العزيز وذلك في شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٩ فعاد سعود إلى الرياض.

»●«

فَرَّ – خَوْفَ القَرِيبِ – نَحْوَ البَعِيدِ حِـينَ وَافَـى مُسْتَسْلِماً لِسُعُودِ
فَتَوَلَّى ابنُ عَمِّـه مِنْ جَدِيدِ بِدِفَـاعِ الْمُسْتَسْلِمِ الصِّنْدِيدِ
فَأَحَاطُوهُ بِالحِصَـارِ الشَّدِيـدِ فَتْكَةُ الجُوعِ فوقَ فَتْكِ الجُنُودِ
أَنْزَلَتْهُ مِنْ شَاهِقِ الأَوْكَارِ

»●«

قُمْ نُرَاجِعْ فَهَـارِسَ الأَخْبَـارِ لِأَهَالِي الفُتُوحِ وَالإِنْتِصَـارِ
مِنْ قَـدِيمِ القُرُونِ وَالأَعْصَارِ فِي حُرُوبٍ دِينِيَّـةٍ أَو فِجَارِ
تَرَ أَقْصَـىٰ تَعَطُّفِ الأَخْيَـارِ منهم: العَفْوَ عَنْ أَهَالِي الـدَّارِ
بَعْدَ إِدْرَاكِ غايةِ الأَوْطَارِ

ثُمَّ قِسْهُمْ بِابْنِ السُّعُودِ الكَرِيمِ حِـينَ ذَلَّتْ عِدَاهُ بِالتَّسْلِيمِ
بَعْـدَ ما ذَاقَ عَسْفَهُمْ مِنْ قَدِيمِ إِذْ تَلَقَّاهُمُ بِقَلْـبٍ سَلِـيمِ
وَحَبَاهُمْ بِكُـلِّ نَيْـلٍ عَمِيمِ مِنْ جَمِيعِ الْمَلْبُوسِ وَالْمَطْعُومِ
وَهُمْ بَيْنَ جَائِعٍ أَوْ عَارِي

»●«

تولى محمد بن طلال الإمارة وكان شجاعاً باسلاً إلى حد التهور وفيه أشياء من خصال عبد العزيز المتعب فقام بأعباء الدفاع وقد تنفس نوعاً لرحيل سعود عنه بابن متعب وخوفاً على الراحلة أن تموت لشدة القيظ فهاجم بعض القرى التي مالأت ابن سعود فنكل بأهلها وأكثر من العسف والفتك وخرج بجنوده إلى الجثامية على مقربة من حائل معسكراً وكان عبد العزيز قد أمر فيصل الدويش أن يتوجه لمحاربة ابن طلال إلى أن يوافيه بمن معه من الجموع فالتقوا على الجثامية وانسحب ابن طلال بعد قتال شديد إلى حائل. وفي غرة المحرم سنة ١٣٤٠ وصل عبد العزيز ومن معه إلى حائل وباشر القتال بنفسه وشدد الحصار عليها وقد طوقها من كل الجهات وكتب إلى أهل حائل ينذرهم ويأمرهم بالتسليم ولكن ابن طلال قابض على ناصية الحال بيد من حديد برغم كرههم له لشدة عسفه ولما أحس بنفورهم منه أرسل إلى السير برسي كوكس المندوب السامي في العراق يرجوه أن يتوسط في الصلح بينه وبين عبد العزيز ولكن الأخير رفض كل مفاوضة بهذا الخصوص حتى اشتد الأمر على أهل حائل وكادوا يهلكون جوعاً فراسلوا عبد العزيز بالتسليم وقد دخلتها الجيوش الظافرة وبقي ابن طلال محاصراً في القصر حتى امنه عبد العزيز فنزل. دخل عبد العزيز حائلاً في سلخ صفر سنة ١٣٤٠ دخول الفاتح الظافر وكان عليه أن يعمل بحائل وأهلها مثلما عملوه في الرياض منذ ثلاثين سنة حينما قطعوا النخيل ونكلوا بالناس اشد تنكيل والجزاء من جنس العمل ولكن عبد العزيز لم يكتف بالعفو أيضاً فقد دخلها وأباح لأهلها كل ما لديه من طعام ولباس وفرقه عليهم وكان شيئاً عظيماً إدخره للحصار. أصبحوا وهم يكادون يموتون جوعاً وعرياً وأمسوا وهم في رغد وهناء، عمل لم يذكر التاريخ له مثيلاً لأحد من الفاتحين منذ أقدم الأزمنة، حتى انه استشار أهل حائل فيمن يوليه عليهم أميراً فطلبوا أحد أبناء السعود ولكنه رفض قائلاً لا آمن أن أولي أحداً منا عليكم لأن الجروح القديمة لم تندمل بعد. وقد ولى عليهم إبراهيم بن سبهان أحد العائلة الرشيدية.

# آل الرشيـــد

١٢٤٦ - ١٣٤٠

صَفَحَـاتٌ مَكْتُوبَـةٌ مِنْ نَـارِ كُتِبَـتْ وَسْطَ حَائِلٍ بِشِفَارِ
بِسُطُورٍ مِنَ الدِّمَـاءِ الجَوَارِي إِحْمِرَاراً مُسَطَّراً بِاحْمِرَارِ
فَهِيَ فِي بَطْنِ دَفْتَرِ الأَخْبَارِ كُـلُّ مَـا لِلرَّشِيـدِ مِنْ آثَارِ
لاعتبار في كُنْهِها وَازْدِجَارِ

»●«

(متعـبٌ) قد سَقَاهُ كَأْساً (حمودُ) وَتَـلاَهُ (سلطـان) ثُمَّ (سعود)
(فسعودُ العبـد العزيز) الشَّرِيدُ أَخَـذَتْ ثَارَهُ هُنَـاكَ العَبِيـدُ
ذَا قَتِيـلٌ وَذا بِـذاك مَقُودُ وَالأَخِيرُ ابنُ متعـبٍ المَوْجُودُ
في جِوَارِ المَلِيكِ خير الجِوَارِ

كانت عائلة الرشيد أمراء حائل أشبه شيء بالنار التي تأكل نفسها ولم يرو التاريخ تقاطعاً في الرحم مثلها ما رواه عنهم. بدأت إمارتهم بعبدالله بن علي بن رشيد ولاه الإمام فيصل على حائل سنة ١٢٤٦ ومات حتف انفه سنة ١٢٦٥ وخلفه ابنه طلال فقتل نفسه سنة ١٢٨٢ وبعده أخوه متعب قتله بندر وبدر ابنا أخيه طلال سنة ١٢٨٥ فقتلهما عمهما محمد بن عبدالله سنة ١٢٨٨ وتولى بعدهما ودامت ولايته وجاء آل سعود حتى استحوذ على نجد كلها ومات حتف أنفه سنة ١٣١٥ وخلفه عبد العزيز ابن أخيه متعب الذي قتل في روضة مهنا كما تقدم سنة ١٣٢٤ وحكم ابنه متعب فقتل مع أخويه مشعل ومحمد بسيف ابناء حمود العبيد سنة ١٣٢٤ ولم ينج إلا أخوه الصغير سعود فر به أخواله إلى الحجاز فتولى سلطان الحمود العبيد فقتله أخوه سعود سنة ١٣٢٥ وحكم ثم قتل سنة ١٣٢٦ بمساعي آل سبهان الذين أعادوا ابن اختهم سعود بن عبد العزيز (شريد الحجاز) وكان من أحواله ما تقدم ذكره حتى قتله عبدالله بن طلال سنة ١٣٣٨ وقتل معه وتولى عبدالله المتعب الذي التجأ إلى سعود بن عبد العزيز خوفاً من ابن عمه محمد بن طلال وهذا الأخير سلم نفسه لعبد العزيز بفتح حائل وأعيد ذلك السيف البتار إلى غمده بعد أن أعمل حديه القاطعين في الرعايا والأمراء على السواء وسطر في تاريخ الرشيد سطوراً من الدم حمراء ليس لهم سواها من أثر يذكر بعد أن تأمروا وحكموا أربعاً وتسعين سنة ودانت لهم نجد من أدناها إلى أقصاها، ان في ذلك لعبرة لأولي الألباب والأبصار. وبعدها انتقلت عائلة الرشيد إلى الرياض وقد تولاها عبد العزيز بالرعاية والإكرام وبقي يعامل افرادها معاملة أفراد آل سعود إذا لم تكن أكثر فأصبحوا في عيشة لم يروا مثلها أيام حكمهم وسيطرتهم المملوءة بالحروب والمغازي وقتل بعضهم بعضاً

وقد يسعد الإنسان بالعيش راغماً  وتلقاه في حال الشقاوة راضيا

# أَبْها وآل عائـض

إنَّ «أَبْهَا» مَدِينَةٌ في عَسِير (دَيَّنت)في حِمى «سعود الكبير»
وَتُؤَدِّي الزَّكَـــــاةَ لِلْمَأْمُورِ جَعَلُوا (عائضـاً) لَهـا كَأَمِـير
وَتَوَلَّـى بَنُوهُ مُلْـكَ الأُمُورِ بِالتَّوَالِي حتى الأمـيرِ الأخيرِ
«حسنِ» حَيْثُ عَاثَ بِالإضْرَار

»●«

فَشَكَـاهُ إلى الإمَـامِ الأَهَالِي فَنَهَـــــــاهُ بِأَلْيَنِ الأَقْوَالِ
فَعَصَى جَامِعاً جُمُوعَ القِتَالِ مُسْتَعِزاً بِشَامِخَاتِ الجِبَالِ
وَوُعُودِ الحُسَيْنِ بِالأَمْوَال ثُمَّ لَمَّا دَهَاهُ جَيْشُ النَّكَالِ
لاَذَ مِنْ (حجلةَ) بِذَيْلِ الفِرارِ

»●«

وَأَتَـــى لِلأَمِـــيرِ بِالتَّسْلِـيمِ فَحَبَاهُ الإمَـــامُ بِالتَّكْرِيمِ
وَدَعَـاهُ لِلْحُكْمِ شَأْنَ الحَكِيمِ فَأَبَـــى قَانِعـاً بِجُودِ الكَرِيمِ
أَطْلَقُوهُ بِالعِزِّ وَالتَّعْظِـــــيمِ فَمَضَى هَازِئاً بِحِلْمِ الحَلِيمِ
ثائِراً عائِداً إلى الإنْكَارِ

عسير بين الحجاز واليمن في أعالي تهامة أراضيها جبلية شماء وعرة المسالك خصبة التربة وقاعدتها أبها في أعلى جبل السراة بين وادي ضلاع وشهران، كانت تلك الولاية تابعة لآل سعود وتمذهب أهلها بمذهب السلف وقد ولى سعود الكبير عليها عائض اليزيد أميراً من قبله سنة ١٢٢٨ ثم استقل بالحكم بعد وقائع الدرعية وتولى بعده ابنه محمد الذي وطد أركان حكم آل عائض ومده على البلاد المجاورة إلى أن قتله غدراً أحد ولاة الترك وبقي الحكم في آل عائض تحت حماية الأتراك إلى أن وقعت الحرب الكبرى فاستقل بالأمر حسن بن علي بن محمد بن عائض بعد أن جلا الترك عنها وكان مستبداً ظالماً فشكاه أهالي عسير إلى الإمام عبد العزيز الذي يعتبرونه إمامهم الشرعي فبعث إليه بوفد ينصحه ويأمره باتباع الرفق واللين فما كان منه إلا أن رد الوفد رداً سيئاً، فأرسل إليه عبد العزيز ابن عمه عبد العزيز بن مساعد بن جلوي بألفين من الجيش وأمره أن يدعو حسناً بالتي هي أحسن وأن يعود إلى ما كان عليه آباؤه الأولون، ولكن حسناً قابله بالجموع مستعداً للحرب فكانت وقعة (حجلة) فانهزم حسن بن عائض ومعه ابن عمه محمد واستولى عبد العزيز بن مساعد على أبها وكافة جبال عسير وعاد الأميران إليه مستسلمين فاستصحبهما معه إلى الرياض وعاهدا عبد العزيز على السمع والطاعة وأكرمهما غاية الأكرام وعرض على حسن إمارة عسير فامتنع بحجة الضغائن التي بينه وبين قومه فأجرى له الرواتب وأعاده إلى بلاده مكرماً. وكانت حرملة بلدته الأصلية فذهب إليها وعصى وجهز قوة حمل بها على أبها فاستولى عليها وقبض على أميرها وكان الشريف حسين قد مد حبائله في عسير وأرسل إلى قبائل شهران وغيرها يستحثها للانضمام إلى حسن ويستنهضها ويمدها بالذخائر والأموال فتفاقم الأمر وأعلن حسن العصيان ضارباً بعهوده عرض الحائط.

لم يُعِرْهُ الإِمَـامُ أَيَّ التِفَاتِ  بَيْنَمَا حَرْبُ حائل لا تُوَاتي
فَأَتَـتْ نَحْوَه فُلُولَ العُصَاةِ  ثُمَّ وَافَاهُ فَيْصَلٌ بِالكُمَاةِ
فَاسْتَمَرُّوا حتى جبال السراة  وجُنُود الشَّرِيفِ بَعْدَ الفَوَاتِ
عَاجَلُوها كَأُخْتِها بِالدِّمَارِ

عِظَـمٌ آلُ عائـض والرشيـدِ  فَهُمُ مِنْ وُلاةِ آلِ السُّعودِ
ظَفِروا كُلُّهُمْ بملكٍ عَتِيدٍ[١١]  فِي زَمَـانِ (المحمَّدَيْنِ) المجيـدِ
ثُمَّ جازوهُم جزاءَ الجُحُودِ  وَبِوَقْـتِ (المُحَمَّدَيْنِ) الجديـدِ
رَجَعَتْ نَحْوَ أَهْلِهِنَّ العَوَارِي

قام حسن ومحمد آل عائض بثورتها وكان عبد العزيز مشغولاً بفتح حائل فترك الأمور في عسير على علاتها إلى أن فرغ من شئون حائل فأرسل ابنه الأمير فيصلاً بجيش يناهز العشرة آلاف وزحف إلى عسير في شوال سنة ١٣٤٠ وقد توغل في البلاد بلا مقاومة تذكر وآل عائض يتقهقرون أمامه فراراً حتى أخلوا أبها والتجأوا إلى معقلهم حرملة وهي بلدة منيعة في رأس جبل طالما لجأ إليها آل عائض في أيام الأتراك فكانت لهم حصناً وموئلاً فحاصرتهم السرايا وبعد عدة وقعات استولى فيصل على حرملة بعد أن فر آل عائض منها. وكان محمد قد ذهب إلى الحجاز يستنجد بالشريف حسين فأمده بقوه من الجند يقودها حمزة الفعر وما كادت تصل إلى أطراف عسير حتى فاجأها كمين من الاخوان قضى عليها وشتتها شذر مذر وانتهى أمر آل عائض وقد عاد الأميران محمد وحسن إلى عبد العزيز فعفا عنهما وبقيا في الرياض مكرمين.

## آل عائض وآل الرشيد

من غرائب الاتفاق أن آل عائض كانوا أمراء لآل سعود في الجنوب وكان آل الرشيد أمراء لهم في الشمال وكلتا الإمارتين خرجت على آل سعود، فقوي آل عائض في زمن محمد بن عائض وآل الرشيد في زمن محمد بن عبدالله، واستعاد عبد العزيز الإمارتين في سنة واحدة من محمد آل عائض ومحمد بن طلال الرشيد، والعاقبة للمتقين.

---

(١) العتيد الجسيم الضخم.

# فتح الحجاز

١٣٤٣

قَدْ تَمَادَى الْحُسَيْنُ فِي الإِغْرَاقِ  فِي التَّعَدِّي والدَّسِّ والإِخْتِلاَقِ
نافِخـاً بِالعِـدَاءِ فِي الأَبْوَاقِ  وَصَدَاهُ (الرقيم) بَعْدَ (العراق)
رَبِّ فاكْفِ النَّجْدِيَّ كَمْ ذَا يُلاَقِي  فَهوَ بَعْـدَ الإِرْعَـادِ وَالإِبْرَاقِ
صَدَّهُمْ عَنْ مَنَاسِكَ وَشِعَار

»●«

صَدَّهُمْ دُونَ سَائِرِ الْمُسْلِمِينَـا  عَنْ قَضَاءِ الفَرْضِ العَظِيمِ سِنِينَا
ثُمَّ أَبْدَى وَسْطَ الرَّقِيمِ طَنِينَا  مِنْـهُ نَبْكِي آناً وَنَضْحَكُ حِينَا
إِذْ تَسَمَّـى بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَـا  هَتَفَـتْ أَوْلِيـاؤه آمِينَـا
حِينَ ضَجَّ الإِسْلاَمُ بِاسْتِنْكَارِ

منذ تعاهد الحسين مع الانكليز على الثورة ظل يحسب البلاد العربية تابعة له ومن جملتها نجد وابن سعود وتجاهل أن الانكليز أعطوه ما لا يملكون. ومن جملة الوسائل التي أراد أن يثبت بها سلطته على نجد أنه أرسل في إبان الثورة عدة صرر من الأموال المرصودة لمساعدة رجال الثورة إلى عبد العزيز ولم يكتب معها كلمة ولما استفهم عبد العزيز منه أجابه (هل أنت سكران أو ما عندك عقل) أي كأنك لم تفهم انك من أتباع الجلالة الهاشمية وهذه هي المرتبات! وفي الأخير كشف القناع وجهز الحملة التي تعيد الفطر في الخرمة والأضحى في الاحساء فقضت عليها وقعة تربة ولما خاب لجأ إلى الدسائس فاستفز ابن رشيد واستنهض آل عائض وأوعز إلى ابنيه في العراق وشرقي الأردن (الرقيم) أن يحضا القبائل الموالية لهما على غزو البلاد النجدية فأقلق راحة ابن سعود من كافة الجهات ولم يترك وسيلة إلا لجأ إليها. هذا وابن سعود يقابل أعماله بالسكوت والمجاملات الودية ولا تقابل منه إلا بالرد الشنيع والازدراء فضلاً عن اضطهاده لكل ما هو نجدي في بلاد الحجاز ومن أكبر الجرائم عنده أن يتحدث أحد عن نجد أو يذكر اسم الاخوان الذي يمقته أشد المقت وطالما تظاهر بما تنطوي عليه نفسه في مقالاته التي يدبجها لجريدة القبلة ولم يكتف حتى منع أهل نجد عن الحج وقضاء ذلك الركن الركين من الإسلام فصدهم عن سبيل الله وبيته كأنه ملك له يفتحه لمن يشاء ويصد عنه من يشاء وقد ضاق أهل نجد بما يجدونه. كل هذا وعبد العزيز يسكنهم ويواعدهم بحسم الأمور بالوسائل السلمية قبل الالتجاء إلى امتشاق الحسام وفي سنة ١٣٤٢ ذهب جلالته إلى فلسطين وشرق الأردن وهناك أوعز إلى طغمته وأنصاره أن يبايعوه بالخلافة العظمى ليجعلها حجة في إخضاع ابن سعود وغيره من أمراء العرب ولكنه جنى على نفسه فأغضب العالم الإسلامي أجمع وعجل في القضاء على مملكته الوهمية، وعلى نفسها براقش تجني.

قَدْ أَعادَ التَّارِيخُ سَرْدَ الفُصُولِ إِذْ سُهَيْلٌ يَبْغِي وحِلْمِ الرَّسُولِ
حَيْثُ لاَقَى العِدَى بِصَبْرٍ جَمِيلٍ فَأَطَاعَ العَزِيزُ حُكْمَ الذَّلِيلِ
إِنَّ حَدَّ الإِمَامِ غَيْرُ كَلِيلٍ حِينَ لاَقَى بِالحِلْمِ عَسْفَ الجَهُولِ
وَرُبُوعُ الكُوَيْتِ خَيْرُ قَوَارِي[1]

»●«

بَلَغَ الأَمْرُ غَايَةَ الإِرْتِفَاعِ وَانْتَهَى الإِجْتِمَاعُ بِالإِنْقِطَاعِ
وَمِنَ العَدْلِ كَيْلُ صَاعٍ بِصَاعِ

»●«

إِذْ تَنَادَى الإِخْوَانُ لِلإِجْتِمَاعِ فِي ذَرَى الوَالِدِ الإِمامِ المُطَاعِ
قَدْ دَهَانَا لَيْسَ بِالمُسْتَطَاعِ كَمْ نُحابِي فِي دِينِنَا وَنُدَارِي

(١) القواري الشهود.

ما أشبه مؤتمر الكويت بمؤتمر صلح الحديبية إذ نرى الضعيف فيهما يملي إرادته على القوي فيقبل وما أشبه موقف مندوبيه بموقف سهيل بن عمرو في تعنته ولجاجته وكذلك النتيجة فقد كانت واحدة هي فتح مكة وبين الفتحين ثلاثة عشر قرناً وثلث. لم يرد عبد العزيز أن يقدم على إشهار الحرب على الشريف إلا بعد أن يعلن للملأ كافة موقف الحسين السلبي نحوه ففي سنة ١٣٤٢ قبل دعوة الحكومة الانكليزية لعقد مؤتمر في الكويت برئاسة مندوبها في الخليج الفارسي الكولونل نوكس لفض الخلاف بين حكومة نجد وحكومات الحجاز والعراق وشرقي الأردن أو بين عبد العزيز والحسين وأولاده ولكنه اشترط مبدئياً أن لا يتدخل وفد أية حكومة من الحكومات الثلاث في المباحث مع غيرها وقبل ذلك الشرط وعليه انعقد المؤتمر في الكويت ولم يرسل الحسين مندوباً عنه وأصر على الجلاء عن تربة والخرمة قبل المفاوضات وكاد الاتفاق يتم بين نجد والعراق لولا أن الوفد العراقي خالف الشرط المبدئي وعلق نفوذ معاهدته على الاتفاق بين نجد والحجاز أما وفد شرق الأردن فكان موقفه موقف غليوم في قصر فرسايل سنة ١٨٧٠ فلم يكتف بالمطالبة بالجوف وقريات الملح بل اشترط ارجاع امارتي آل الرشيد وآل عائض والتنازل عن تربة والخرمة برغم طلب الوفد النجدي استفتاء أهل تينك البلدتين وخاض الوفد فيما يعنيه وما لا يعنيه، وكانت الغارات لا تزال تشن من قبائل العراق على القبائل النجدية فتأجل المؤتمر وعاد للانعقاد ثانية وإذا بالوفود أصلب مما كانت قبلاً. ومن أراد الوقوف على مطالب نجد العادلة وتعنتات العراق وشرقي الأردن فليرجع إلى الكتاب الأخضر النجدي. عندها عاد عبد العزيز من الاحساء إلى الرياض وانعقد برئاسة الإمام عبد الرحمن مؤتمر من الاخوان والعلماء وتباحثوا في الحالة الراهنة وموقف الشريف السلبي تجاه نجد.

»●«

»●«

وَتَنَادَوْا إلى الحِجَازِ سَرِيعاً يَقْصِدُونَ البَيْتَ الحَرَامَ جَمِيعا
وَمِنَ الطَائِفِ اسْتَحَلُّوا الرُّبُوعا دَخَلُوهُ وَكَانَ حِصْناً مَنِيعا
حِينَ فَلُّوا مِنَ الشَّرِيفِ الجُمُوعا وَتَمَشُّوْا إلى المَقَامِ رُكوعا
كُلُّ فَرْدٍ بِمِطْرَفٍ وَإِزَارِ

»●«

حَادِثٌ قَدْ جَرَى مِنَ الإِخْوَانِ يَقْتَضِي شَرْحَ كُنْهِهِ للبَيَانِ
قَتْلُ بَعْضِ الذَّوَاتِ وَالأَعْيَانِ جَرَّهُ بَعْضُ جاهِلِي السُّكَّانِ
إِذْ رَمَوهُمْ مِنْ دَاخِلِ الجُدْرانِ وَهُمْ فِي حَمِيَّةٍ وَتَفَانِي
فَجَرَى مَا جَرَى بِأَمْرِ البَارِي

»●«

ألح الأخوان في مجتمعهم بطلب الحج في ذلك العام فقد طال الانتظار وعجزت الوسائل السلمية عن حل الخلاف وارضاء مطالب الحسين ولم يبق إلا الحج بالقوة لأنهم قادرون على ذلك وبعد الأخذ والرد وتبادل الآراء بين الجميع قر القرار على غزوة الحجاز والحج بالقوة ليقضي الله أمراً كان مفعولاً فمشت جنود الاخوان وعددها نحو ثلاثة آلاف مقاتل وهي بقيادة الشريف خالد بن منصور بن لؤي وسلطان بن بجاد تؤم الحجاز وفي غرة صفر سنة ١٣٤٣ وصلت طلائعها إلى الحوية بقرب الطائف وهناك انتهت حكومة الحسين لأمر لم تحسب له حساباً قبل ذلك الحين وكانت تظن نفسها قادرة على اخضاع كل أمير عربي لسيطرتها فهبت قواتها من الجنود النظامية للدفاع عن الطائف وخرج منها ليعسكر بالهدى وتبعه أمير الطائف الشريف شرف عدنان ومن معه من الضباط ودخلها الاخوان فجر يوم ٧ صفر ولم يخل جيش الاخوان من جموع البدو الذين انضموا إلى الجيش الزاحف بغية النهب والسلب وقد دخلتها طلائع الجيوش قبل الأمراء فأخذوا في قتل من يقاومهم وتطاير الرصاص في الشوارع فقتل من أصابه وكانت حادثة للطائف المشئومة التي قتل فيها السيد الزواوي وبعض الأعيان وكان الأخوان إذ ذاك لا يميزون بين رفيع ووضيع وقد دخلوا دخول الظافر المنتصر ولم تخل الطائف من سفهاء أخذوا يرمونهم من نوافذ البيوت فزادوا الطين بلة وجعلوهم يقابلون الفعل بمثله فدخلوا بعض البيوت وجرى ما جرى منهم والليل مخيم واختلط الحابل بالنابل وكانت ساعة هول حتى دخل الأمراء البلد صباح السبت وأمنا الناس.

»●«

دَخَلُوهَـا لَيْـلاً بِغَيْرِ أَمِـيرِ وَهِيَ الحَرْبُ رَبَّـةُ التَّدْمِـيرِ
فَرَآهَـا العِـدَاةُ لِلتَّغْرِيرِ فُرْصَـةً تُسْتَفَـادُ لِلتَّنْفِيرِ
هَـذِهِ حَائِـلٌ بِرَغْمِ النُّفُورِ بَيْنَهُمْ عُومِلَـتْ بِخَيْرٍ وَفِـيرِ
وَتَغَاضَوْا عَنْ كُلِّ حِقْدٍ وَثَارِ

»●«

وَأَتَى جَيْشُ(خامس الدرجات)!؟ زَاحِفـاً نَحْوَ مَكَّـةٍ بِثَبَـاتِ
وَعَلِيٌّ أَتَـاهُ مِنْ عَرَفَـاتِ زَاحِفـاً لِلْهُدَى لِصَدِّ الغُزَاةِ
سَيُوَالِي الدِّفَـاعَ حَتَى المَمَاتِ فَتَنَـى العَزْمَ مِنْهُ حُبُّ الحَيَاةِ
زَاهِداً فِي فَخَارِ (تَاجِ الغَارِ)

»●«

وَمَضَـى نَحْوَ جُدَّةٍ باضْطِرَابِ يَبْتَغِي رَتْـقَ بَالِي الأَثْوَابِ
إِنْ تَعْجَبْ فَاعْجَبْ لِأَمْرٍ عُجَـابِ فَالحِجَازُ المَحْكُومُ بِالإِرْهَابِ
أُمَّـةٌ ذَاتُ سُلْطَـةٍ وَانْتِخَابِ قَرَّرَتْ خَلْعَ صَاحِبِ الأَلْقَابِ
وَتَوَلَّى ابْنِهِ بِذَاكَ القَرَارِ!!!

والحروب لا شك عمياء لا بد لها من ضحايا خصوصاً متى دخل المهاجمون في الليل على أن دعاة البيت الهاشمي اتخذوا حادثة الطائف آلة للتشهير بعدوهم وأخذوا يصفون فظائعها وأهوالها ولو كان أمراء الجيش حاضرين لما وقع شيء من ذلك ولنا بحائل أعظم دليل فقد كانت أقرب إلى أن ينالها التخريب والتقتيل لما بين الخصمين من الثارات والضغائن القديمة كما تقدم وبعد رجوع فلول المنهزمين إلى مكة تشجع الحسين فجند له جنداً مؤلفاً من الف وثلاثمائة مقاتل من جنود نظاميين وبدو وبعض أهالي مكة فعسكروا في الهدى بقيادة الأمير علي وهناك وافاهم الإخوان وجرت معركة كبيرة انكسر فيها عسكر الأمير ؛ وبرغم توالي الهزائم والانكسارات أعاده والده بسرية أخرى وقد صمم على الفوز أو الموت ولكنه في الأخير آثر الحياة وفر إلى جدة خوفاً من أن يعيده والده وترك الطريق مفتوحاً للهاجمين وقد توقف الإخوان عن التقدم احتراماً للبيت الحرام ولو أنهم تبعوا الأمير علياً في انهزامه لدخلوا جدة بسلام. وقد نزح كثير من وجهاء مكة وأعيانها بعد وقعة الهدى إلى جدة وهناك اجتمعوا بالأمير علي وبعد الأخذ والرد اتفقوا على أن يتنازل الحسين عن عرشه وأن يتولى علي لتتسنى له المفاوضة مع ابن سعود للتفاهم. وهكذا بين بكرة وعشية أصبحت المملكة الحجازية المحكومة بالارهاب والاستبداد ذات كيان تطالب عاهلها المستبد الجبار أن يتنازل عن عرشه ليتولاه ابنه فأتاه تلغراف من مجلس الأمة بجدة يخبره فيه بما تم ويطلب منه أن يتنازل وقد أجاب على ذلك وقبل أن يتنازل بشرط أن لا يتولى بعده أحد أبنائه ولم يقصد بذلك الا الإيهام والتمويه لأن المسألة متفق عليها ليكون الملك الجديد خالياً من المسؤوليات التي سيجابهه بها ابن سعود على أن عبد العزيز لم تنطل عليه الحيلة فعلي هو الحسين.

»●«

عِنْدَهَا ضَاقَ بِالْحُسَيْنِ الفَضَاءُ وَغَطَّـاهُ بِالأَمْرِ نَـارٌ وَمَـاءُ
هُوَ ذَلَّ تَشُوبُـهُ الكِبْرِيَـاءُ فَبَكَى حِينَ لاَ يُفِيدُ البُكَاءُ
إِذْ أَتَاهُ مِنْ الأَهَالِي النِّدَاءُ: «لَيْسَ بَعْدَ السُّقُوطِ إِلا النَّجَاءُ
فَتَنَازَلْ عَنْ عَرْشِكَ المُنْهَارِ»

»●«

سَلَّمَ الأَمْرَ بِالرِّضَـى مَشْمُولا مُسْتَقِيـلاً تَرَاهُ أَمْ مَعْزُولا؟
قِصَّـةٌ أَحْكَمُوا لَهَا التَّمْثِيلا لِيَنَالُوا إِلى الخَـلاَصِ سَبِيلا
خَلْعُ هذا وَنَصْبُ ذَاكَ بَدِيلا لَيْسَ يُغْنِي عَنِ العِدَاةِ فَتِيلا
لَمْ يَزَلْ فِي الصِّغَارِ سِرُّ الكِبَارِ

»●«

غَـادَرَ المُنْقِـذُ العَظِيمُ البِـلاَدا وَامْتَطَى مَرْكَباً بِهِ يَتَهَادَى
جَاعِلاً أَصْفَرَ الجُنَيْهَاتِ زَادَا فَـأَرَاحَ البِـلاَدَ ثُمَّ العِبَـادَا
وَتَـلاَهُ ابْنُـهُ لِجَـدَّةِ عَـادا وَأَتَـى خَالِدٌ الأَمِيرُ فَنَادَى
بِأَمَانٍ لِلْبَدْوِ وَالحُضَّارِ

قبل الحسين أن يتنازل عن عرشه العظيم وتمت البيعة لابنه علي على أن يكون ملكاً دستورياً على الحجاز فقط وان يكون للبلاد مجلس نيابي وقانون أساسي تضعه جمعية تأسيسية وأن تتشكل هيئة مؤقتة لإدارة أعمال الحكومة. وبعد هذا بايعوه على كتاب الله وسنة رسوله أيضاً ولكن الحسين في حالة ضيقة أرسل احتجاجاً إلى تلك الهيئة يحفظ فيه حقوقه لاستعادة الحكم الاستبدادي إذا استعيد الحجاز فقد قال في احتجاجه ان العمل بالحكومة الدستورية في الحرمين مخالف لأحكام كتاب الله وسنة رسوله كما انه احتج على تحديد نفوذ الحجاز وحصره في دائرته التي هي ضيقة في نظر جلالته بعد أن كان يؤمل ملك البلاد العربية كلها. ولناظمه من قصيدة نشرت إبان الحرب الحجازية عنوانها (جوقة تمثيل).

دولـة في شبابهـا مستجـدة ما تعدى نطاقها سور جدة
ونصـير الدستور فيها مليك فوقـه تـاج دولـة مستبـدة
ولهـا في نطاقهـا برلمـان ومتى شام فرصة صار سدة
ولهـا في محيطهـا وزراء من نفوس البلاد أكثر عدة

وبعد مبايعة علي الملك توجه تواً إلى مكة وفي اليوم التالي غادرها صاحب الجلالة الهاشمية وقد استصحب معه عدة صفائح مملوءة ذهباً إلى جدة ومنها ودع ذلك الملك العظيم وتلاشت أمام عينيه تلك الأحلام كلها ابتعدت عنه شواطىء الحجاز وهو على يخته « الرقمتين » وعاد الملك علي إلى جدة على أثر أبيه بعد أن تأكد ان الدفاع عن مكة عقيم الفائدة لذهاب الجند وتمزقه شذر مذر. وفي ١٨ ربيع الأول سنة ١٣٤٣ دخل خالد بن لؤى بالاخوان إلى مكة وهم محرمون وبعد أن طافوا وسعوا استولوا على البلد الحرام ونادوا فيه بالأمان.

»●«

دَخَـلَ القَائِـدَان مَكَّـةَ لَكِنْ  بَقِيَـا لَمْ يُحَرِّكَـا أَيَّ سَاكِنْ
بَيْـدَ أَنَّ الإِرْجَافَ سَادَ الأَمَاكِنْ  وَعَلِيٌّ يَكَـادُ يُخْلِي المَسَاكِنْ
وَمِنَ الخَوْفِ قَـدْ أَعَدَّ السَفَائِنْ  أَلَهِيـبٌ بَيْنَ الزُّنَادَيْنِ كَامِنْ؟
أَمْ هُدُوءٌ يُنْبِيكَ بِالإِعْصَارِ؟

»●«

أَرَجَـفَ المُرْجِفُونَ بِالأَنْبَـاءِ  فَأُصِيبَ الشَّرِيفُ بِالبَرْحَاءِ
بَيْنَ خَوْفٍ يَنْتَابُـهُ وَرَجَـاءِ  وَانْتِظَـارِ البَلاَءِ نَفْسِ البَلاَءِ
ثُمَّ بَـثَّ الدُّعَـاةَ فِي الأَرْجَـاءِ  مُسْتَغِيثاً بِسَائِرِ الكُبَرَاءِ
يَطْلُبُ الصُّلْحَ خَاضِعاً بِصَغَارِ

»●«

حَـاوَلَ الجَبْرَ بَعْدَ كَسْرِ الزُّجَاجِ  لاَ يَلِينُ القَضِيبُ بَعْدَ اعْوِجَاجِ
أَو تُلاَقَى الجُيُوشُ بِالاحْتِجَاجِ  فَهُمُ موقِـدُونَ نَـارَ الهِيَـاجِ
ثُمَّ جَـاءَ الإِمَـامُ بِالمِنْهَـاجِ  وَهُوَ يَقْضِي عَلَيْـهِ بِالإِخْرَاجِ
وَعَلَى المُسْلِمِين بِالاخْتِيَارِ

مما لا ريب فيه أن حادثة الطائف أضرت بابن سعود أكثر فهي السبب الوحيد الذي جعل القيادة تتأخر عن احتلال جدة في الوقت المناسب فان عبد العزيز أمرها بالتوقف إلى أن يأتي مخافة أن تجري حادثة أخرى من نوعها ، فقد دخل خالد وسلطان مكة وبقيا لم يحركا ساكناً وأتاهما وفد باسم أهالي جدة للمفاوضة في الصلح فاشترطا خروج علي من الحجاز ولكن الوفد عاد ولم يصنع شيئاً وأهالي جدة يتوقعون قدوم الاخوان صباحاً مساء ولو تقدمت سرّية واحدة إلى جدة لاستلمتها بدون مقاومة تذكر وانتهى أمر الحسين وأولاده بسلام وكان علي نفسه مزمعاً على السفر ولكنه لم ير أن يغادر جدة قبل أن يتقدم الإخوان إليها وعمدا إلى الاستغاثات والمفاوضات وقد أبرق إلى عبد العزيز يطلب الصلح ويقترح عقد مؤتمر يتمم أعمال مؤتمر الكويت ويشترط جلاء الجيوش النجدية وقد أجابه عبد العزيز بأن الحجاز ليس ملكاً للحسين وأولاده فيجب أولاً أن يتنازل علي عن مملكته الجديدة المصطنعة ويترك الحجاز لرأي العالم الإسلامي ليبت في مصيره فانه صاحب الحق في اختيار من يتولى الحجاز وينظم أموره ولم يكتف علي بذلك بل أبرق إلى جمعية الخلافة في الهند وإلى المجلس الإسلامي الأعلى في فلسطين أما جمعية الخلافة فكانت على رأي ابن سعود وتشد ازره وكانت من القديم تعادي الحسين وأولاده وتعتبرهم من الخوارج على عرش الخلافة العظمى أيام سلاطين آل عثمان واما المجلس الإسلامي الأعلى فقد توسط رئيسه بالصلح ولكن توسطه جاء متأخراً وطلب عبد العزيز أن يوكل الأمر إلى مؤتمر العالم الإسلامي وأصدر علي في جدة جريدة سماها « بريد الحجاز » حاول ان ينشر بها دعوته ولما وصل الحسين إلى العقبة أخذ يجند الجيوش من شرقي الأردن بتوسط ابنه عبدالله.

»●«

وَقْفَـــةٌ قَـــدْ أَطَالَـــتْ مُـــدَّهْ سَهَّلَـتْ لِلْعَـدُوِّ تَحْصِينَ جَدَّهْ
وَأَخُوهُ مِنَ الرَّقِـــيمِ أَمَـــدَّهْ بِجُنُودٍ مِنْ الرِّجَـالِ وعُـدَّهْ
فَاسْتَعَادَ الشَّرِيفُ إِذْ ذَاكَ رُشْدَهْ بَاذِلاً لِلدِّفَاعِ وَالحَرْبِ جَهْدَه

بِشِرَاءِ السَّيَّارِ والطَّيَّارِ

»●«

طَافَ بِالبَيْتِ لِلْقُدُومِ الإِمَامُ فَزَهَا الأَمْنُ واسْتَتَبَّ السَّلَامُ
وَيَسِيرٌ لِجِـــدَةَ الإِقْتِحَـــامُ لٰكِنِ الحَرْبَ مِحْنَـــةٌ وَضِرَامُ
وَسَيَأْتِي مِنَ الحِصَـــارِ المَرَامُ وَانْقَضَى فِي حِصَارِ جدةَ عامُ

وَشُهُورٌ فَسُلِّمَتْ بِاخْتِيَارِ

»●«

تَمَّ هٰـــذا وَقَبْلَـــهُ بِقَلِيـــلِ سُلِّمَتْ لِلْأَمِيرِ «دارُ الرَّسُولِ»
أَخَذُوهَـا بِالحَصْرِ والتَّطْوِيـلِ خَشْيَةَ الحَرْبِ فِي المَقَامِ الجَلِيلِ
فَفَـدَتْ فِي نَعِيمِ عَصْرٍ جَمِيلٍ مَـا رَأَتْ قَبْلَـهُ لَهُ مِنْ مَثِيلِ

غَيْرَ صَدْرِ الإِسْلَامِ فِي الأَعْصَارِ

جاءت النجدة الأولى إلى جدة على الباخرة «رضوى» وهي مؤلفة من أربعمائة جندي بقيادة تحسين باشا الفقير فسكن بها اضطراب عليّ نوعا وقوي ظهره وتوالت الامدادات بعدها وقد حصل من توقف الاخوان على فرصة حسنة فاستعد للحصار ومد خطا للدفاع أحاط بجدة من البحر للبحر طوقه بالاسلاك الشائكة وبث فيه الالغام واستعد بالدبابات والطيارات حتى خيل اليه أنه في استعداد تام للدفاع بل اخذ يتحدث بالهجوم واسترجاع مكة وغير لهجته. وفي أواخر ربيع الثاني قدم عبد العزيز إلى مكة وكان مصرا على إخراج علي وأخذ رأي العالم الاسلامي وعلي لا يرضى بالتنازل وترك الحجاز خصوصا بعد ان حصل على تلك الامدادات من أبيه وأخيه وقد أخذت تتوالى، فالقول الفصل اذن للسيف ولم يكن اقتحام جدة عسيراً على الإخوان ولكن عبد العزيز رأى ان خير وسيلة لفتحها مطاولتها بالحصار نظراً إلى من فيها من الاجانب وقناصل الدول. وحل موسم الحج فبذل كل جهده لمنع الناس بالدعوة في الأقطار الاسلامية وبالفعل عن طريق جدة وبرغم ذلك فقد حج خلق كثير عن طريق رابغ والليث والقنفذة. وزحفت الجنود النجدية إلى سهل جدة حيث طوقوها بالحصار وتجاوبت المدفعيات وجرت وقعة المصفحات التي جرب فيها علي قوته فانكسرت شر كسرة ولم تعد إلى الخروج بعدها وفي الأخير اضطر إلى التسليم والتنازل وغادر جدة إلى العراق في ٦ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ مستصحباً معه أشياءه الخاصة وكان عبد العزيز أرسل قوة بقيادة الدويش وأمرها ان تحاصر المدينة المنورة وأن لا تهاجمها وقد دام حصارها عشرة أشهر وسلمت للأمير محمد بن عبد العزيز في ١٩ جمادى الأولى وبذلك تم فتح الحجاز كله وأصبح ذلك الفتى الشاب الذي خرج من الكويت بأربعين ذلولا «ملك الحجاز ونجد وملحقاتها» ونرجو ان يحقق الله فيه آمال الامة العربيـة فنراه عن قريب ملكا للعرب كلهم حقق الله ذلك. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

# أمس واليوم

حَـانَ دَهْرٌ عـلى الحِجَـازِ وَمَرّا ذَاقَ فيـــهِ الطَّعْمَيْنِ حُلْواً وَمُرّا
ذَاقَ عَصْراً لِلرَّاشِدِينَ أَغَرّا ثُمَّ ظَلَّـتْ بِـــهِ المَصائِـبُ تَتْرَى
وَبِعَبْـــدِ العَزِيزِ أَصْبَـــحَ حُرّاً يَشْهَـــدُ اللهَ والمَلَائِـــكُ طُرّا

ثُمَّ حُجَّاجُ سَائِرِ الأَمْصارِ

»●«

قُمْ نُـائِـــلْ عَوَالِمَ الحُجَّـــاجِ كُـلَّ عَامٍ مِنْ نَائِيَاتِ الفِجَاجِ
كَمْ يُعَانُونَ مِنْ إِحْرَاجِ إِذْ يَعُدُّونَهُمْ كَبَعْـــضِ الخَرَاجِ
مَوْرِداً لِلْمُلُوكِ ذا إِنْتَـــاجِ مُذْعِنَـــا[١١] ابنُ الزُّبَيْرِ لِلْحَجَّاجِ

وَكَذَا مَا تَلَاهُ مِنْ أَدْوَارِ

»●«

سُلْطَـةُ البَـدْوِ أكْبَرُ السُّلُطَـاتِ  عَزَّ فيـــهِ أوْ ذَلَّ شَأْنُ الوُلاَةِ
فَلَهُمْ حَقُّهُمْ مِنَ (الخـــاوات)[١٢١]  وَوُفُودِ الإلـــهِ في عَرَفـــاتِ
كَتِهـــابٍ في مالِهم والحيَـــاةِ  بَلْهَ ما كان فيهِ مِنْ مُنْكَرَاتِ
مُوبِقَاتٍ- جَهْراً بِلا إنْكَارِ

»●«

أيْنَ مِنْ حَـالِ هَـذا الزَّمَـانِ  إذ غَـدَا العَـدْلُ قائِمَ المِيزَانِ
حَسْبَ نَـصِّ الحَدِيـثِ والقُرْآنِ  ثُمَّ عَمَّ الجَمِيـعَ ظِـلُّ الأَمَـانِ
بِاعْتِنَـاءٍ في صِحَّـةِ الأَبْـدَانِ  وَبِهَـذا قَـدْ تَمَّـتِ النِّعْمَتَـانِ[١٢٢]
إسْأَلِ المُسْلِمِينَ فَالكُلُّ دَارِي

»●«

لَسْتُ أُحْصِي وَإِنْ أَطَلْتُ المَقَالا  لِعُـــــلاَهُ مَآثِراً وَفِعَـــالا

حَـقَّ فِيها كَلامُ مَنْ قَدْ قالا:  (ذي المعـالي فَلْيَعْلُونَ مَنْ تَعَـالى

هكَـذا هكَـذا وَإلاَ فَـلاَلاَ)(٤)  غَيْرَ أَنِّي سَرَدْتُهَـــا إِجْمَـــالا

وَهِيَ حَقّاً كَنُقْطَةٍ مِنْ بِحَارِ

خالد بن محمد الفرج

---

(١) عنا خضع وذل

(٢) الخاوات ما يأخذه البدو على الحجاج

(٣) النعمتان: الصحة والأمان

(٤) البيت مطلع قصيدة لأبي الطيب المتنبي.

# فهرست الكتاب

الصفحة


نظرة في الكتاب بقلم الاستاذ السيد محمد علي الطاهر
سفر الخلود (وهو مقدمة الكتاب الشعرية)..... ٥
الشاب الناهض..... ٩
المخاطرة الأولى: فتح الرياض..... ١٣
مطاولات ومناوشات..... ٣١
البكيرية..... ٣٥
مقتل ابن الرشيد..... ٤٩
المصاعب والمتاعب..... ٥٣
الترك والعرب..... ٥٩
المخاطرة الثانية: فتح الإحساء..... ٦٣
الحرب الكبرى..... ٧٥
وقعة جراب..... ٧٧
العجمان..... ٧٩
هجر البدو..... ٨٧
الخلافة..... ٩١
وقعة تربة..... ٩٥
فتح حائل..... ١٠٣
آل الرشيد..... ١١٣
أبها وآل عائض..... ١١٥
فتح الحجاز..... ١١٩
أمس واليوم..... ١٣٣